سلسلة غزوات المصطفى ﷺ (٢)

غزوة أُحُد
ويليها
حمراء الأسد

بقلم
قاسم بن محمد الزهراني
غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الزهراني ، قاسم محمد عبد الله
غزوة أحُد/ قاسم محمد الزهراني - جدة ١٤٢٣هـ
١١٩ ص ؛ ١٤,٨ × ٢١ سم
ردمك : ٦ - ٨٣ - ٧٥٢ - ٩٩٦٠
١- غزوة أحُد ٢- السيرة النبوية أ- العنوان
ديوي ٢٣٩,٤ ١٤٢٣/٤٤٥٧

رقم الإيداع : ١٤٢٣/٤٤٥٧
ردمك : ٦ - ٨٣ - ٧٥٢ - ٩٩٦٠

الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م
خصم خاص للتوزيع الخيري

دار المحمدي للنشر والتوزيع
المملكة العربية السعودية - جدة
حي الجامعة - شارع عبد الله السليمان
هاتف - ٦٨٩٧٥٠٩ - ناسوخ - ٦٨٠٢٦٠٤
ص . ب :٩٣٤٧ - جدة ٢١٤١٣

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾

{ سورة آل عمران ، الآية ١٥٢ }

تقديم

تقديم الدكتور / عبد الرحمن بن معلا اللويحق

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده أما بعد :

فإن رسولنا محمداً ﷺ هو الأسوة والقدوة المطلقة في كل شأن : ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴿٢١﴾ ﴾[1] وإذا كان هو القدوة فإن سبيل الاقتداء هو العلم بسنته ﷺ وسيرته ، فالعلم قبل العمل ، وكلما كان مقام المرء في العلم أرفع كانت قدرته على قفو أثر النبي ﷺ أكبر ، ولا زال علماء الأمة على مرِّ تاريخها يُعْنَوْنَ بالتدوين في ذلك ، فظهرت مدونات في السنة شهيرة ، وكتب في السيرة جامعة ، ولكن كثيراً من كتب السيرة كبيرة الحجم ربما هابها صغار طلاب العلم ، فكان حقاً على القادرين من طلبة العلم أن يُدْنوا قطاف السيرة إلى مبتغي الاقتداء بالنبي ﷺ وقد رأيت هذه الرسالة في غزوة أحُد وغزوة حمراء الأسد للأخ الكريم الأستاذ : قاسم بن محمد الزهراني فرأيت تبويباً وتقسيماً جيداً ، وعبارة راقية قريبة ، فحمدت لأخي فعله ورجوت أن ينفع الله بها وببقية رسائله المتسلسلة في

---

(١) سورة الأحزاب ، الآية ٢١.

غزوات المصطفى ﷺ ، وكتبت هذه المقدمة معرفاً ومثنياً على ما رأيت وإن كان الجهد المقدم في هذه الرسالة أبلغ في الثناء عليها من كلامي.

أسأل الله لي وللأستاذ : قاسم الزهراني وللقراء الكرام التوفيق والسداد والعون على الاقتداء بالنبي ﷺ.

والحمد لله رب العالمين

وكتبه

عبد الرحمن بن معلا اللويحق

الأستاذ المساعد في كلية الشريعة بالرياض

٢٣ / ٩ / ١٤٢٣ هـ

مُقَدِّمَة

الحمد لله ذي الفضل والإحسان ، والكرم والامتنان ، اصطفى نبينا محمداً ﷺ على بني الإنسان ، وأدبّه فأحسن تأديبه فكان خلقه القرآن ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في الألوهية والربوبية والأسماء والصفات الحسان ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المبعوث بمكارم الأخلاق وأتم الأديان ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الكرام ،،، أما بعد :

فقد انكسرت الهامة القرشية في واقعة بدر الجهاد ؛ التي ارتفعت فيها كلمة الحق إلى العلي القدير ، بقيادة النبي ﷺ الواعية المباركة ، وجهاد صحبه الكرام في آفاق البطولة والفداء ، وقد كانت تلك الواقعة الجهادية طعنة دامية في جسد كبرياء قريش وأنفتها ، فقد حملت في ركب رجوعها إلى مجالس مكة أذيال مصابات الفواجع في الآباء والأبناء في واقعة واحدة ، فقد اتفق الزمان والألم في اجتراع مصاب الألم وانكسارات الانهزام في آن واحد ومقتل جد صعب.

فثارت الأنفس طلباً لارتياد حياض الثأر والانتقام ، وتعالت أصوات الهذيان بأسطورة المجد الخالد على إيقاع طبول الباطل الشيطانية ، فغدا الهذيان طغياناً يغذى بالمال والعتاد ونار ثأر الأنفس ، فيسمن حقداً ووحشية مصوّبة سهامها نحو ديار المسلمين في الأرض الطيبة.

فانطلقت قافلة السوء بثقلها وعتادها وهوادج نسائها تحمل شعار عصبية القوم العتية في نار حقدها الدفين.

وقد بلغ الخبر النبي ﷺ فالتزم نهج رقي التحضر في التعامل مع الحدث في امتثال مبدأ الشورى مع صحبه الكرام ، فكانت هوية الرأي والقرار في حس الكل لا أحادية الفرد ، وهكذا تسد فجوات بين الراعي والرعية ، على هدير بحر واحد تتلاقى ثنايا اتجاهاته في معبر واحد فكراً وموقفا.

وخرج رسول الله ﷺ في جمع مبارك من أصحابه وقد غشيتهم سكينة الهيبة والوقار ، وهناك كان الإيمان الراسخ في جذوره ، ودقة القرار في التخطيط والعمل ، وفقه بعد النظرة في مواطن الثغرات ، وبدأت المعركة وقد تلألأت بمواقف الشجاعة المقدامة ، والبطولة الخالدة في ثلة من الصحابة الكرام ، ومواقف فداء في ذاكرة ثرى أحُد التمحيص والبلاء.

لكن كان هناك نزف جراح دامية في قلوب المسلمين كانت إيذاناً بيوم أحُد التمحيص والبلاء ، فقد انسحب الرماة من الالتزام بأمر القيادة المؤمنة ، فكانت اللحظات الصعبة والجرح الموجع في القلب ، فقد صنع هذا الانسحاب ثغرة واهية في جسد المعركة ، فكان من جراء ذلك الالتفاف والتطويق.

وألقى الله سبحانه وتعالى الثبات على النبي ﷺ ونفر من المؤمنين ؛ الذين تحلقوا حولـه يتلقون عنه الضربات بصدورهم وظهورهم في ملحمة الحب الخالد والفداء ، فكانوا ترساً صامداً أمام نبال العدو وسيوفه.

وإليك أخي القارئ هذه المعركة في ركبها المتلاحم مع هذا الحب الخالد ، الذي جعل من أحُد دروس بلاء وفتنة و تمحيص ، وكشف لأقنعة النفاق وفقه خالد في الثبات وعزيمة القرار ، وكرامة ربانية باتخاذ الشهداء.

قاسم الزهراني

رمضان ١٤٢٣هـ

غزوة أُحد

تمهيد

أُحُد ـ بضم الهمزة والحاء المهملة ـ هو الجبل المشهور بالمدينة ، وسُميَ أحُداً لتوحده وانقطاعه عن الجبال الأخرى ، أو لِمَا وقع من أهله من نصر التوحيد ، وفي الصحيح : { أحُد جبل يحبنا ونحبه }(١).

وعُرفت غزوة أحُد بهذا الاسم لوقوعها عند هذا الجبل ، وهو يقع في شمال المدينة ، وكان يرتفع ١٢٨متراً ، أما الآن فيرتفع ١٢١ متراً بسبب عوامل التعرية ، ويبعد عن المسجد النبوي الشريف خمسة كيلو مترات ونصف الكيلو متر بدءاً من باب المجيدي أحَد أبواب المسجد النبوي ، ويتكون جبل أحُد من صخور جرانيتية حمراء ، وله رؤوس متعددة ، ويقابله من جهة الجنوب جبل صغير يسمى « عينين » وهو الذي عُرف بعد المعركة بجبل الرماة ، وبين الجبلين واد عُرف بوادي قناة(٢).

وقد جاء في فضل جبل أحُد أحاديث عدة ، منها : ما قاله أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ طلع له أحُد فقال : { هذا جبلٌ يُحبُنا ونحبه ، اللهم إن إبراهيم حرَّم مكة وإني حرَّمت ما بين لابتيها }(٣).

وقد قال هذا ﷺ لمَّا رأى جبل أحُد وهو قافل من الحج.

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم وأحمد.
(٢) انظر السيرة النبوية الصحيحة ، للدكتور أكرم ضياء العمري.
(٣) أخرجه البخاري ومسلم.

ووقع في رواية أبي حميد أنه قال لهم ذلك لمَّا رجع من تبوك وأشرف على المدينة : { هذه طابة } فلما رأى أحُداً قال : { هذا جبل يُحبنا ونحبه }[١].

وللعلماء في معنى ذلك الحب أقوال :

١) أنه يقصد بذلك أهل أحُد ، والمراد بهم الأنصار لأنهم جيرانه.

٢) أنه قال ذلك للمرة بلسان الحال لمَّا قدم من سفر ، لقربه من أهله ولقيامهم ، وذلك فعل من يحب بمن يحب[٢].

٣) أنَّ الحب من الجانبين على حقيقته وظاهره لكون أحُد من جبال الجنة ، لقوله ﷺ : { جبل أحُد يُحبنا ونحبه ، وهو من جبال الجنة }[٣].

قال السهيلي : كان ﷺ يحب الفأل الحسن والاسم الحسن ، ولا أحسن من اسم مشتق من الأحَدية ، ومع كونه مشتقاً من الأحَدية فحركات حروفه الرفع ، وذلك يشعر بارتفاع دين الأحَد وعلوه ، فتعلق الحب من النبي ﷺ به لفظاً ومعنى ، فخُصّ من بين الجبال بذلك[٤].

وقد خاطب عليه الصلاة والسلام جبل أحُد مخاطبة من يعقل ، فقال له لمَّا اضطرب : { اسكن أحُد }[٥].

---

(١) أخرجه أحمد.
(٢) فتح الباري.
(٣) أخرجه أحمد من حديث أبي عبس بن جبر مرفوعاً.
(٤) الروض الأنف.
(٥) انظر السيرة النبوية من فتح الباري.

وقد اتفق كُـتّـاب السير على أن غزوة أحُد وقعت فـي شوال من السنة الثالثة للهجرة ، واختلفوا فـي اليـوم الـذي وقعت فيـه ، وأشـهر الأقوال أنها وقعت في يوم السبت للنصف من شوال.

وجاء من طريق محمد بن إسحاق : خرج رسول الله ﷺ يوم الجمعة حين صلى الجمعة ، فأصبح بالشعب من أحُد ، فالتقوا يوم السبت في النصف من شوال.

* * * * *

غزوة أُحد
شوال سنة ٣هـ

سبب الغزوة :

بعدما أصيبت قريش بما أصيبت به يوم بدر ، لم يهدأ لها بال ، ولم يستقر لها حال ، فما زالوا يذكرون أصحاب القليب ، وما زالوا يبكون عليهم ، وكلما ذكروا ذلك زاد غيظهم واشتد حنقهم على المسلمين . فكانت تجيش نزعات الانتقام والأخذ بالثأر في نفوسهم ، واتفقوا على أن يشنوا حرباً أخرى على المسلمين ، لعلها أن تشفي غيظ قلوبهم ، وتجلو ما في نفوسهم ، وليستعيدوا مكانتهم التي زعزعت بين العرب بعد الهزيمة في بدر ، وليقضوا على تلك الثلة الناشئة في المدينة قبل أن تصبح قوة تهدد وجودهم.

فمشى عبد الله بن أبي ربيعة ، وعكرمة بن أبي جهل ، وصفوان بن أمية ، في رجال من قريش ممن أصيب آباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم يوم بدر ، فكلموا أبا سفيان في العير التي نجا بها - والتي كانت سبباً في غزوة بدر - أن يجعلها جهازاً لجيش مكة لقتال النبي ﷺ ، وقالوا لمن كان لـه في تلك العير من سهم : يا معشر قريش إن محمداً قد وَتَرَكم[١] وقتل خِيَاركم ، فأعينونا بهذا المال على حربه ، لعلنا ندرك منه ثأرنا بمن أصاب منا ، فرضي بذلك كل من كان له فيها نصيب.

---

(١) وتركم : أي بتركم ، قتل احسنكم وأفضلكم .

قال ابن إسحاق : ففيهم أنزل الله تعالى قوله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾[1].

فاجتمعت قريش لحرب رسول الله ﷺ بأحابيشها[2] ، ومن أطاعها من القبائل المنتشرة حول مكة من كنانة وأهل تهامة ، وعبأوا القوى لهذا الاستنفار.

تحريض المشركين :

وكان أبو عزة عمرو بن عبد الله الجمحي قد أسر يوم بدر ، وكان فقيراً ذا عيال وحاجة ، فمنَّ عليه رسول الله ﷺ شريطة أن لا يقاتله ولا يساند أحَداً يريده أو يريد المسلمين بسوء.

فجاء صفوان بن أمية إلى أبي عزة وقال له : يا أبا عزة إنك امرؤ شاعر ، فأعنا بلسانك واخرج معنا ، فقال أبو عزة : إن محمداً قد مَنَّ عليَّ فلا أريد أن أظاهر عليه ، فقال صفوان : أعنا بنفسك ! فلك الله عليَّ إن رجعتَ أن أغنيكَ ، وإن أصبتَ أن أجعل بناتك مع بناتي يصيبهن ما أصابهن من عسر ويسر ، فما زال به يغريه حتى قبل وخرج معهم.

---

(١) سورة الأنفال ، الآية ٣٦ . سيرة ابن هشام.
(٢) بأحابيشها : أي بالغرباء الذين انضموا إليهم ولكنهم ليسوا منهم .

فخرج أبو عزة يسير في تهامة ويدعو بني كنانة ، ويحرض القبائل بأشعاره التي كانت تذكي حفائظهم لحرب رسول الله ﷺ.

وخرج أيضاً مُسافع بن عبد مناف بن وهب الجمحي إلى بني مالك بن كنانة يحرضهم ويدعوهم بأشعاره إلى قتال النبي ﷺ.

وأخرجوا معهم النساء حتى يكون ذلك أبلغ في استماتة الرجال دون أن تصاب أعراضهم ، وحتى لا يفروا إذا اشتد عليهم المسلمون.

وخرج قائد الجيش أبو سفيان بن حرب بزوجته هند بنت عتبة ، وكانت تؤلب الناس وتحثهم على القتال ، وكذلك خرجت زوجات عكرمة بن أبي جهل ، والحارث بن هشام ، وصفوان بن أمية ، وعمرو بن العاص ، وطلحة بن أبي طلحة ، وغيرهن.

التآمر على قتل حمزة رضي الله عنه :

وأراد جُبير بن مُطعم أن يثأر لقتل عمّه طُعيمة بن عَدي الذي قتل يوم بدر ، فدعا غلاماً له حبشياً يقال له وحشي ، يقذف بحربة له قذف الحبشة قلَّما يخطيء بها ، فقال له : اخرج مع الناس واقتل حمزة بن عبد المطلب عمَّ محمد ، فإن أنت قتلته بعمِّي طُعيمة بن عدي فأنت عتيق.

وكانت هند بنت عتبة ممن اشتد حقدها على حمزة ، فإذا مرت بوحشي حثته وحرضته قائلة له : ويهاً أبا دَسَمة اشْفِ واشْتَفِ[١].

خروج قريش :

فخرجت قريش بأحابيشها وأحلافها في ثلاثة آلاف مقاتل ، من بينهم سبعمائة دارع ، ومعهم ثلاثة آلاف بعير ، ومعهم مائتا فرس جعلوا على ميمنتها خالد بن الوليد وعلى ميسرتها عكرمة بن أبي جهل ، وأخرجوا معهم ثماني نسوة[٢] لإثارة حماسهم وخوفهم من العار إذا فروا من أرض المعركة.

وسار الجيش المكي حتى وصل إلى الأبواء[٣] ، فاقترحت هند بنت عتبة أن ينبشوا قبر آمنة بنت وهب أم النبي ﷺ ، ولكن زعماء قريش رفضوا ذلك حتى لا تكون سنة في العرب ، وحذروا من فتح هذا الباب على أنفسهم.

---

(١) ويها : كلمة إغراء وتحريض . وكان وحشي يكنى بأبي دسمة.

(٢) هذا ما ذكره ابن إسحاق ، وذكر الواقدي أنهن أربع عشرة ، وذكر ابن سعد في الطبقات أنهن خمس عشرة امرأة.

(٣) الأبواء : منطقة بين مكة والمدينة . وكانت آمنة بنت وهب أم النبي ﷺ قد قدمت به إلى المدينة وهو ابن ست سنين على أخواله من بني عدي بن النجار تزيره اياهم ، فماتت وهي راجعة به إلى مكة بالأبواء ودفنت هناك.
وروى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة أن النبي ﷺ زار قبر أمه فبكى وأبكى من حوله ، ثم قال : (استأذنت ربي في أن أستغفر لها فلم يؤذن لي ، واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي ، فزوروا القبور ، فإنها تذكر الموت).

ثم واصل جيش مكة سيره حتى وصل قريباً من جبل أحُد ، فنزل بمكان يقال له عينين ببطن السبخة من قناة على شفير الوادي مقابل المدينة من الجهة الشمالية ، فعسكروا هناك.

وصول الخبر إلى النبي ﷺ :

وكان العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه عمّ النبي ﷺ ، يرى تحركات قريش وتأليبها للعرب وجمعها للجموع ، وعزمها على مهاجمة المدينة ، فكتب كتاباً إلى النبي ﷺ يخبره فيه بما يجري في مكة ، وما عزمت عليه قريش من قتاله ، وأعطاه لرجل من غفار ، فأوصل الرجل الكتاب إلى النبي ﷺ وهو في مسجد قباء ، فقرأه له أبي بن كعب ، فأمره رسول الله ﷺ أن يكتم الأمر ، وعاد إلى المدينة ليستشير قادة المهاجرين والأنصار.

ثم أرسل رسول الله ﷺ عيونه لينظروا له الخبر ، فجاءته الأخبار بأن قريشاً على مشارف المدينة ، وقد أرسلت خيلها وإبلها ترعى زروع يثرب المحيطة بها ، فانتشر خبر قدوم المشركين ولم يعد الأمر سراً ، وأخذ المسلمون الحيطة لرسول الله ﷺ ولأنفسهم ، حتى أن بعضهم باتوا بالمسجد النبوي وعليهم السلاح خوفاً على رسول الله ﷺ ، وأقاموا حراساً على مداخل المدينة بالليل.

رؤيا النبي ﷺ :

عقد رسول الله ﷺ مجلساً استشارياً مع أصحابه لتبادل الرأي ، وأخبرهم عن رؤيا كان قد رآها في منامه ، فقال : { رأيت في رؤياي أني هززت سيفاً فانقطع صدره ، فإذا هو ما أصيب من المؤمنين يوم أحُد ، ثم هززته أخرى فعاد كأحسن ما كان ، فإذا هو ما جاء الله به من الفتح واجتماع المؤمنين ، ورأيت بقراً ـ والله خير ـ فإذا هم المؤمنون يوم أحُد }(١) وقد فسر رسول الله ﷺ الرؤيا بأن هزيمة تكون في أصحابه وقتلاً يقع فيهم ، وفي رواية أخرى : { ورأيت أني في درع حصينة فأولتها المدينة }(٢).

وقال ابن عباس : تنفل رسول الله ﷺ سيفه ذا الفقار(٣) يوم بدر ، وهو الذي رأى فيه الرؤيا يوم أحُد ، فقال : { رأيتُ في سيفي ذي الفقار فلاً(٤) فأولته فلاً يكون فيكم ـ أي انهزاماً ـ ورأيتُ أني مردف كبشاً فأولته كبش الكتيبة ، ورأيتُ أني في درع حصينة فأولتها المدينة ، ورأيت بقراً تذبح فبقر والله خير فبقرٌ والله خير } فكان الذي قال عليه الصلاة والسلام(٥).

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم.
(٢) أخرجه أحمد.
(٣) ذا الفقار : سُمي بذلك لأنه كانت فيه حفر حسان صغار ، والسيف المفقر : الذي فيه حزوز مطمئنة عن متنه .
(٤) فلا : الثلم في السيف .
(٥) أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب ، وابن ماجه ، وأحمد ، والحاكم.

استشارة النبي ﷺ لأصحابه :

وشاور رسول الله ﷺ أصحابه بين البقاء في المدينة أو الخروج لملاقاة العدو خارجها ، وكان ﷺ يكره الخروج من المدينة ، وكان هذا رأي شيوخ المهاجرين والأنصار ، وكان أيضاً رأي عبد الله بن أُبي بن سلول(١) ـ رأس المنافقين ـ فقد رأى رأي رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله أقم بالمدينة لا تخرج إليهم ، فوالله ما خرجنا إلى عدو قط إلا أصاب منا ، ولا دخلها علينا إلا أصبنا منه ، فكيف وأنت فينا ؟ دعهم يا رسول الله ؛ فإن أقاموا أقاموا بشر مقام ، وإن دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ورماهم النساء والصبيان من فوقهم ، وإن رجعوا رجعوا خائبين كما جاءوا(٢).

ولكن كثيراً من المسلمين ولا سيما من فاته بدر كان الحماس فيهم قد بلغ منتهاه ، وكانوا قد ندموا على ما فاتهم من السابقة ، وتمنوا لقاء العدو ليبلوا ما أبلى إخوانهم يوم بدر ، وقالوا : كنا نتمنى هذا اليوم وقد ساقه الله إلينا وقرَّب المسير.

---

(١) هو عبد الله بن أُبيّ بن مالك بن الحارث الخزرجي ، يكنى بأبي الحُباب ، ومشهور بابن سلول ، وسلول جدته لأبيه ، هو رأس المنافقين في الإسلام ، كان سيد الخزرج قبل وصول النبي ﷺ إلى المدينة ، وأظهر الإسلام بعد وقعة بدر تقية ، انخذل بثلث الجيش يوم أُحُد ، وفعل ذلك أيضاً يوم التهيؤ لتبوك ، وكان يشمت بالمسلمين كلما حلت بهم نازلة ، وينشر كل سيئة يسمعها ، مات في السنة التاسعة للهجرة.

(٢) لم تكن موافقة ابن سلول لرأي النبي ﷺ لأنه هو الرأي الصحيح ، ولكن حتى يستطيع التفلت من القتال دون أن يشعر به أحَد ، ولكن شاء الله أن يفضحه هو وأصحابه.

فقال جماعة من الأنصار : يا نبي الله ، إنا نكره أن نقتل في طرق المدينة ، وقد كنا نمتنع من الغزو في الجاهلية ، فبالإسلام أحق أن نمتنع منه ، فابرز إلى القوم . وقال بعضهم : يا رسول الله ، اخرج بنا إلى أعدائنا لا يرون أنا جَبُنَّا عنهم وضَعُفنا ، وقال رجل من الأنصار : متى نقاتلهم يا رسول الله إذا لم نقاتلهم عند شِعبنا ؟ وقال رجال : ماذا نمنع إذا لم تمنع الحرب بروع ؟ وقال رجال قولاً صدقوا به ومضوا عليه ، منهم حمزة بن عبد المطلب ﷺ قال : والذي أنزل عليك الكتاب لنجالدنَّهم ، وقال نعيم بن مالك بن ثعلبة : يا نبي الله لا تحرمنا الجنة ، فوالذي نفسي بيده لأدخلنها ؛ فقال له رسول الله ﷺ { بم ؟ } قال : بأني أحب الله ورسوله ولا أفر يوم الزحف ، فقال له رسول الله ﷺ : { صدقت } واستشهد يومئذ[١].

وهكذا أبى كثير من الناس إلا الخروج إلى العدو ، فما زالوا برسول الله ﷺ حتى استقر الرأي على الخروج من المدينة ، ولو أخذوا برأي رسول الله ﷺ لكان خيراً لهم ، ولكن ليقضي الله أمراً كان مفعولاً.

خروج الجيش الإسلامي :

وصلى رسول الله ﷺ بالناس الجمعة ، فوعظهم وذكرهم وحثهم على الصبر والثبات ، وأخبرهم أن لهم النصر إن صبروا ، ثم دخل بيته

---

(١) المغازي النبوية.

ولبس لأمته[١] ، وكان معه صاحباه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فعمماه وألبساه ، وظاهر عليه الصلاة والسلام بين درعين[٢].

فلما رأى الناس رسول الله ﷺ قد لبس السلاح ندموا وتلاوموا وقالوا: عرض نبي الله ﷺ بأمر وعرضنا بغيره ! بئس ما صنعنا ، نشير عليه والوحي يأتيه من السماء ! فقم يا حمزة وقل للنبي ﷺ : ((أمرنا لأمرك تبَع)) ، فأتى حمزة رسول الله ﷺ فقال : يا نبي الله ، إن القوم قد تلاوموا وقالوا : أمرنا لأمرك تبع ، فقال رسول الله ﷺ : { إنه ليس لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يناجز }[٣].

وأذن مؤذن رسول الله ﷺ بالخروج ، فخرج في ألف من المسلمين والمتظاهرين بالإسلام ، فيهم مائة دارع ، ولم يكن معهم من الخيل إلا فرسان[٤] ، وكان شعارهم { أمِتْ أمِتْ }[٥] واستعمل ﷺ على المدينة ابن أم مكتوم ، وارتفعت راية سوداء وثلاثة ألوية :

١) لواء للمهاجرين يحمله مصعب بن عمير.

٢) لواء للأوس يحمله أُسيد بن حضير.

٣) لواء للخزرج يحمله الحُباب بن المنذر.

---

(١) اللأمة : الدرع .
(٢) مستدرك الحاكم . بمعنى لبس درعاً فوق درع.
(٣) تفسير الطبري . وفي رواية أحمد والنسائي والحاكم (ما ينبغي لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه).
(٤) الطبقات الكبرى وتاريخ الطبري.
(٥) أخرجه أبو داود ، وأحمد ، وصححه الحاكم.

المسير إلى أُحُد :

وتحرك الجيش الإسلامي نحو الشمال ، ولمَّا جاوز ثنية الوداع رأى كتيبة خشناء[١] ، فقال : { من هؤلاء ؟ } قالوا : حلفاء ابن أُبي من يهود بني قينقاع ـ وهم رهط عبد الله بن سلام ـ فقال : { أوَ قد أسلموا ؟ } قالوا : لا يا رسول الله ، فقال ﷺ : { قولوا لهم فليرجعوا فإنا لا نستعين بالمشركين على المشركين }[٢].

استعراض الجيش :

ولمَّا وصل رسول الله ﷺ إلى الشيخين[٣] استعرض جيشه ، وكان قد خرج معهم بعض الغلمان رغبة في الجهاد وحباً للاستشهاد في سبيل الله عز وجل ، فردهم النبي ﷺ لصغرهم ، منهم : عبد الله بن عمر بن الخطاب[٤] ، والبراء بن عازب[٥] ، وأسامة بن زيد ، وزيد بن ثابت ، وعرابة بن أوس ، وأسيد بن ظُهير ، وزيد بن أرقم ، وعمرو بن حزم ، وأبو سعيد الخدري ، وأجازهم كلهم يوم الخندق.

---

(١) كثيرة السلاح.
(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات . وقد يقال : إن هؤلاء اليهود أهل كتاب فكيف سماهم رسول الله ﷺ أهل الشرك . والجواب : أن إطلاق الشرك عليهم بمعنى غير المعنى الاصطلاحي الذي يطلق على الوثنيين من العرب ، وللشرك معنى عام يعتبر قدراً مشتركاً يصدق على جميع الكافرين.
(٣) الشيخان : موضع بالمدينة ، وهما أطمان كان يهودي ويهودية أعميان يقومان عليهما فيتحدثان ، فلذلك سميا الشيخين.
(٤) قال عبد الله بن عمر: إن رسول الله ﷺ عرضني يوم أُحُد وأنا ابن أربع عشرة سنة فلم يجزني ، وعرضني يوم الخندق وأنا ابن خمس عشرة سنة فأجازني . أخرجه البخاري ومسلم.
(٥) ولكن حديث البراء في البخاري يدل على شهوده القتال يوم أُحُد.

وردَّ رسول الله ﷺ رافع بن خديج ، وسمُرة بن جندب ، فقيل له : يا رسول الله ، إن رافعاً قد رام الخامسة عشرة ، فأجازه[١] ، فقال سمُرة : أنا أقوى من رافع أنا أصرعه ، فأُخبر بذلك رسول الله ﷺ ، فأمرهما أن يتصارعا ، فصرع سمُرة رافعاً ، فأجازه.

وفي هذا المكان أدركهم المساء ، وقام بحراسة الجيش خمسون رجلاً بقيادة محمد بن مسلمة ، وتولى حراسة رسول الله ﷺ ذكوان بن عبد القيس.

تخاذل المنافقين وتراجعهم :

وفي صباح السبت تحرك الجيش الإسلامي ، فلمَّا بلغوا الشوط بين المدينة وأحُد ، انخذل عنهم رأس النفاق عبد الله بن أُبي بن سلول بثلث الناس وقال : أطاع الولدان ومن لا رأي له ، أطاعهم وعصاني ، وما ندري علام نقتل أنفسنا[٢] ! فرجع بمن اتبعه من قومه من أهل النفاق والريب.

ولمّا همّوا بالانصراف رأت فرقة من الصحابة قتال هؤلاء المنافقين ، ورأت أخرى عدم ذلك ، فنزل فيهم قول الله عز وجل :

---

(١) وقيل أنه أجازه لأنه ماهر في رماية النبل.

(٢) يقصد بذلك أن رسول الله ﷺ ترك رأيه وأطاع غيره ، والواضح من رجوع هذا المنافق لم يكن كما ذكر من عدم الأخذ برأيه ، ولو كان كذلك ، لما كان لمسيره مع الجيش كل هذه المسافة معنى ، ولكنه أراد أن يحدث البلبلة والاضطراب في صفوف المسلمين حتى تنهار معنوياتهم ، فيكون ذلك أسرع في القضاء عليهم ليخلو له الجو في المدينة .

﴿ ۞ فَمَا لَكُمْ فِي ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُواْ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ ﴾(١).

واتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام(٢) عند انسحابهم وأخذ يوبخهم ويحضهم على الرجوع ويقول : تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا ؛ يا قوم أذكركم الله أن لا تخذلوا قومكم ونبيكم عند من حضر من عدوهم ، فقالوا : لو نعلم أنكم تقاتلون لما أسلمناكم ، ولكنا لا نرى أنه يكون قتال ، فلما استعصوا عليه وأبوا إلا الانصراف قال : أبعدكم الله أعداء الله ، فسيغني الله عنكم نبيه(٣).

وفي هؤلاء المنافقين يقول الله تعالى : ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُواْ ۖ قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ ﴾(٤).

---

(١) سورة النساء ، الآية ٨٨.

(٢) هو عبد الله بن عمرو بن حرام الخزرجي الأنصاري ، يكنى أبا جابر بابنه جابر بن عبد الله ، كان نقيب بني سلمة في العقبة ، شهد بدراً وأحُداً ، وقتل يوم أحُد.

(٣) أخرجه ابن إسحاق مرسلاً.

(٤) سورة آل عمران ، الآية ١٦٦ـ ١٦٧ . والله سبحانه وتعالى بيَّن في نهاية هذه الآية ، أنه يعلم أنهم كاذبون في قولهم : لو نعلم قتالاً لاتبعناكم ، وذلك لأن وقوع القتال أمره ظاهر بيِّن واضح جلي لا خفاء ولا شك فيه.

ولما رأى المسلمون ما فعل ابن أُبي وأصحابه ، همَّت بنو سلمة ـ من الخزرج - وبنو حارثة ـ من الأوس - أن تنخذل مع المنافقين ولكن الله ثبتهما مع المؤمنين وعصمهما من أن يكونا مع المنافقين ، وفي ذلك نزل قوله سبحانه وتعالى :

﴿ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾[1].

مربع بن قَيْظِي المنافق :

وبعد هذا الانسحاب الذي قام به المنافق ابن أُبي ، واصل رسول الله ﷺ سيره ببقية الجيش وهم سبعمائة مقاتل ، وكان معسكر المشركين يحول بينه وبين جبل أُحُد في مناطق كثيرة ، فقال : { من رجل يخرج بنا على القوم من كثب من طريق لا يمر بنا عليهم ؟ } فقال أبو خيثمة أخو بني حارثة بن الحارث : أنا يا رسول الله ؛ فنفذ به في حرَّة بني حارثة وبين أموالهم ، جاعلاً جيش المشركين إلى الغرب ، حتى سلك به حائطاً لِمِرْبَع بن قيظي - وكان رجلاً منافقاً ضرير البصر ـ فلما سمع حِسَّ رسول الله ﷺ ومن معه من المسلمين قام يحثو في وجوههم التراب ويقول : إن كنت رسول الله فإني لا أحل لك أن تدخل حائطي ، والله لو

---

(١) سورة آل عمران ، الآية ١٢٢ . وقال جابر بن عبد الله رضي الله عنهما : نزلت هذه الآية فينا بني سلمة وبني حارثة ، وما أحب أنها لم تنزل والله يقول : { والله وليهما } . أخرجه البخاري ومسلم.

أعلم أني لا أصيب بها غيرك يا محمد لضربت بها وجهك . فابتدره القوم ليقتلوه ، وقد بدر إليه سعد بن زيد أخو بني عبد الأشهل ، فضربه بالقوس في رأسه فشجه ، فقال رسول الله ﷺ : { لا تقتلوه ، فهذا الأعمى أعمى القلب أعمى البصر }(١).

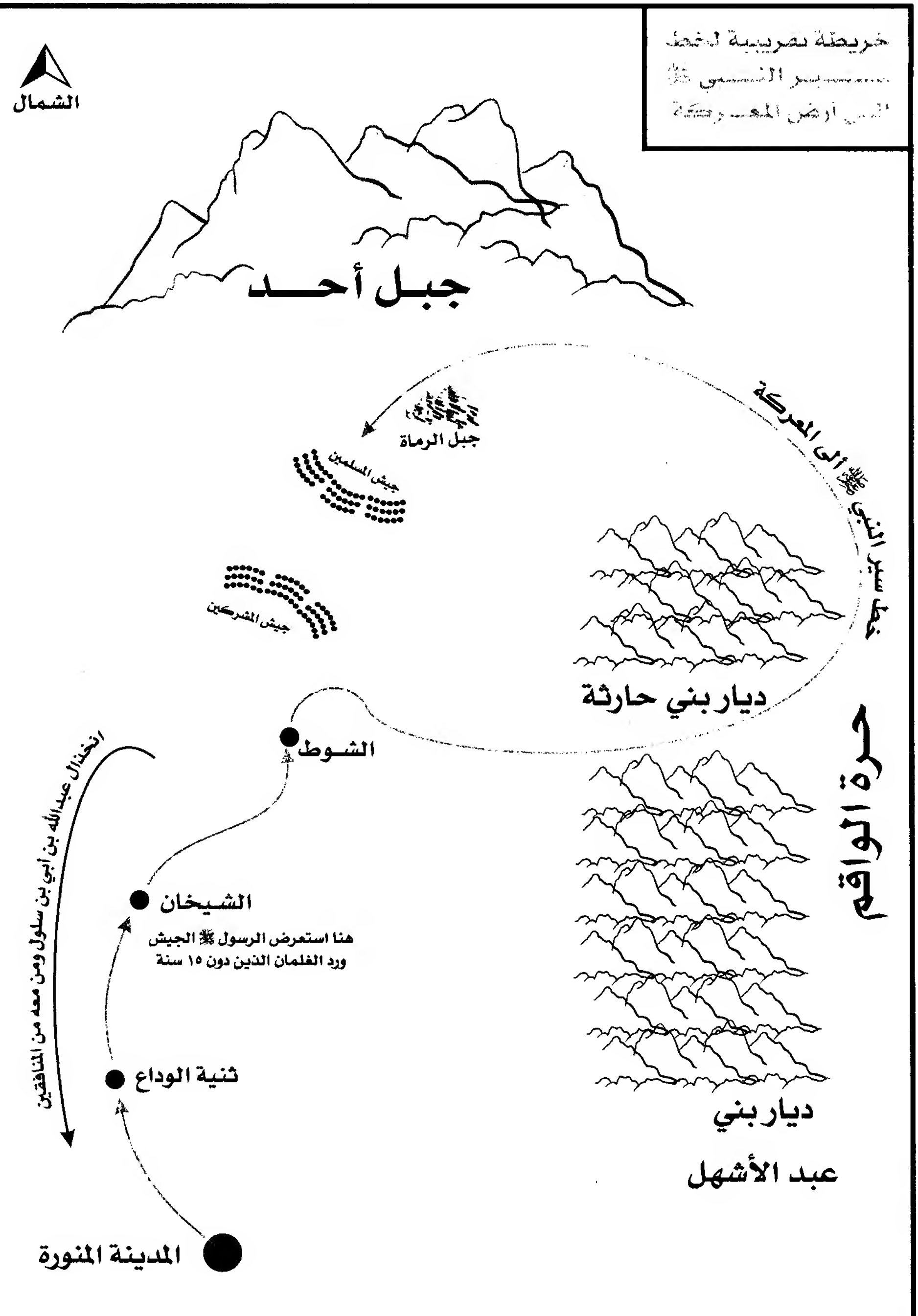
قال ابن إسحاق : ومضى رسول الله ﷺ سالكاً في حرة بني حارثة فذبَّ فرسٌ بذنبه ، فأصاب كُلاَّبَ سيفٍ فاستله(٢) ، فقال رسول الله ﷺ لصاحب السيف ـ وكان يحب الفأل ولا يعتاف ـ : { شِمْ سيفك(٣) ؛ فإني أرى السيوفَ ستُسَلُّ اليوم }(٤).

وفي الطريق إلى ميدان المعركة ، طلب عمر بن الخطاب ﷺ من أخيه زيد أن يأخذ درعه ، فقال له زيد : إني أريد من الشهادة مثل الذي تريد ، فتركاه جميعاً(٥).

ومضى رسول الله ﷺ حتى نزل الشعب من جبل أحُد في عدوة الوادي ، فجعل ظهره وعسكره إلى أحُد ، واستقبل المدينة ، وصار جيش المشركين يفصل بين الجيش الإسلامي والمدينة ، وأمرهم ألا يقاتل أحَد حتى يأمره بالقتال.

---

(١) أخرجه ابن إسحاق دون إسناد.
(٢) كلاب السيف : مسمار عند مقبضه ، استله : سحبه.
(٣) شم سيفك : أغمده.
(٤) سيرة ابن هشام.
(٥) أخرجه الطبراني.



خريطة تقريبية لخط
سير النبي ﷺ
إلى أرض المعركة
الشمال
جبل أحد
جبل الرماة
جيش المسلمين
جيش المشركين
خط سير النبي ﷺ إلى المعركة
ديار بني حارثة
حرة الواقم
الشوط
الشيخان
هنا استعرض الرسول ﷺ الجيش
ورد الغلمان الذين دون ١٥ سنة
انخذال عبدالله بن ابي بن سلول ومن معه من المنافقين
ثنية الوداع
المدينة المنورة
ديار بني
عبد الأشهل

خريطة رقم ١

وصية رسول الله ﷺ للرماة :

جهَّـز رسـول الله ﷺ الجيش الإسلامي ، وانتخب منهم خمسين رجلاً من أمهر الرماة ، وأمَّـر عليهم عبد الله بـن جبير[١] - وهو يومئذ مُعْلم بثياب بيض - ووضعهم فوق جبل الرماة جنوب شرق معسكر المسلمين المقـابل جـبل أحُـد خشـية أن يطـوق المشـركون المسـلمين ، وأمـرهم بالتمركز عليه.

وأوصـى رسـول الله ﷺ قـائد الـرماة قـائلاً : { انضـح[٢] الخيـل عنا بالنبل لا يأتونـا من خلفنا ، إن كانت لنا أو علينا فاثبت مكانك ، لا نؤتين من قبلك }[٣].

ثم أمر عليه الصلاة والسلام الرماة بعدة أوامر واضحة جلية ، قال فيها : { احموا ظهورنا ، فإن رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا ، وإن رأيتمونا قد غنمنا فلا تشركونا }[٤] وفي روايـة الـبخاري قـال : { إن رأيـتمونا تخطفنا الطير ، فلا تبرحوا مكـانكم هـذا ، وإن رأيـتمونا هزمـنا القـوم وأوطأناهم ، فلا تبرحوا مكانكم }[٥].

وبذلك سيطر المسلمون على المرتفعات وتركوا الوادي للمشركين.

---

(١) هو عبد الله بن جُبير بن النعمان بن أمية الأنصاري الأوسي ، أخو خوات بن جبير ، شهد العقبة وبدراً وأحُداً ، وقتل يوم أحُد ، وليس له عقب.
(٢) انضح الخيل : أي ادفعهم.
(٣) سيرة ابن هشام.
(٤) أخرجه أحمد والطبراني والحاكم.
(٥) أخرجه البخاري.

تعبئة الجيش الإسلامي :

نظر رسول الله ﷺ إلى عدد جيشه وجيش المشركين ، فإذا بجيشه على الربع من المشركين ، فعمل خطة عسكرية ليعوض فيها هذا التفاوت الرقمي ، كأعظم مخطط عسكري في التاريخ ، فقد اختار لجيشه أفضل موقع في ميدان القتال ، علماً أنه نزل به بعد العدو ، فقد كان مكاناً مرتفعاً ، فلا يستطيعون معه الفرار إذا هزموا من المشركين حتى لا يقعوا في الأسر ، وحمى ظهره وميمنته بالجبل ، وحمى ميسرته وظهره بالرماة.

وألجأ المشركين إلى الوادي وهو مكان منخفض ، لا يستطيعون معه الحصول على شيء إذا انتصروا ، وإذا هُزموا يستطيع المسلمون أن يلحقوا بهم ويأسروهم.

واختار نخبة من الرجال الأشداء الشجعان البارزين من أولي النجدة والبأس من أصحابه ، ليكونوا طليعة المؤمنين حين يلتحم الجمعان ، وهؤلاء الرجال يوزنون بالألوف وهم آحاد ، فجعل على الميمنة المنذر بن عمرو ، وجعل على الميسرة الزبير بن العوام ومعه المقداد بن الأسود ، واللواء مع مصعب بن عمير ، وخرج حمزة بن عبد المطلب بالجيش بين يديه.

النبي ﷺ يعطي سيفه لأبي دُجانة[١] :

وأخذ النبي ﷺ يحمس أصحابه ، ويحثهم على الصبر والثبات ، وينفث فيهم روح البسالة ، ويأمرهم بتقوى الله عز وجل والصبر عند البأس إذا لقوا العدو ، وأن يفعلوا ما أمرهم الله.

وأخذ عليه الصلاة والسلام بسيف في يده ، وقال : { من يأخذ هذا السيف بحقه ؟ } فقام إليه رجال فأمسكه عنهم ، حتى قام إليه أبو دُجانة سِماكُ بن خَرَشَة أخو بني ساعدة ، فقال : وما حقه يا رسول الله ؟ قال : { أن تضرب به العدو حتى ينحني } قال : أنا آخذه يا رسول الله بحقه ، فأعطاه إياه[٢].

وكان أبو دُجانة رجلاً شجاعاً يختال عند الحرب ، وكانت له عصابة حمراء إذا اعتصب بها عُلِم أنه سيقاتل حتى الموت ، فلما أخذ السيف من يد رسول الله ﷺ أخرج عصابته تلك ، فاعتصب بها ، ثم جعل يتبختر بين الصفين ، فقال رسول الله ﷺ : { إنها لمشية يبغضها الله إلا في مثل هذا الموطن }[٣].

---

(١) هو سِمَاك بن خَرَشَة ، وقيل : سماك بن أوس بن خرشة بن لوذان بن عبد ود بن الخزرج ، الأنصاري الساعدي ، كنيته أبو دُجانة ، كان شجاعاً بطلاً له آثار جميلة في الإسلام ، وكان يقال له (ذو المشهرة) وهي درع يلبسها في الحرب ، ويقال له أيضاً (ذو السيفين) لقتاله يوم أحُد بسيفه وسيف رسول الله ﷺ ، شهد بدراً ، وثبت يوم أحُد ، وأصيب بجراحات كثيرة ، استشهد سنة ١١ هـ في معركة اليمامة.

(٢) أخرجه ابن إسحاق منقطعاً .

(٣) رواه ابن إسحاق عن جعفر بن عبد الله بن أسلم ـ مولى عمر بن الخطاب ـ عن رجل من الأنصار من بني سلمة.

تعبئة المشركين وتحريضهم :

أما المشركون فقد نظموا جيشهم وصفوا صفوفهم ، وجعلوا على الميمنة خالد بن الوليد ، وعلى الميسرة عكرمة بن أبي جهل ، وعلى المشاة صفوان بن أمية ، وعلى الرماة عبد الله بن أبي ربيعة ، وكان اللواء إلى بني عبد الدار ، وأما القيادة العامة فكانت بيد أبي سفيان بن حرب.

وأراد أبو سفيان أن يحرض بني عبد الدار ـ أصحاب اللواء ـ ويستثير حميتهم ، فقال : يا بني عبد الدار ، إنكم قد وَلِيتُمْ لواءنا يوم بدر فأصابنا ما قد رأيتم ، وإنما يؤتى الناس من قِبَلِ راياتهم إذا زالت زالوا ، فإما أن تكفونا لواءنا ، وإما أن تُخلوا بيننا وبينه فنكفيكموه ، فغضبوا منه ، وهمّوا به وتواعدوه.

ونجح أبو سفيان في هدفه ، فقد استثار حفائظ بني عبد الدار ، وذلك ما أراد فقد أجابوه بقولهم : ((نحن نُسلِم إليك لواءنا ؟ ستعلم غداً إذا التقينا كيف نصنع !.)) وقد ثبتوا عند احتدام القتال حتى أبيدوا عن آخرهم.

وقامت هند بنت عتبة امرأة أبي سفيان في النسوة اللاتي معها ، وأخذن الدفوف يضربن بها خلف الرجال ويحرضنهم على القتال ، وأخذت هند تنشد وتقول :

نحن بنـاتُ طـارق   نمشي على النمارق[١]
والمسك في المفارق   والـدرُّ في المخـانـق[٢]
إن تُقبلـوا نـعانـق   ونـفـرش الـنمـارق
أو تُدبـروا نفـارق   فـراق غيـر وَامِـق[٣]

وتقول في تحريض حملة اللواء :

ويهاً بني عبد الدار   ويـهـاً حـمـاة الأدبـار
ضـربـاً بكـل بتّـار[٤]

محاولات فاشلة :

واصطف الجيشان للقتال ، وأراد أبو سفيان قبيل نشوب المعركة أن ينفث سُم الخلاف والنزاع في صفوف المسلمين ، فنادى : يا معشر الأنصار ، خلوا بيننا وبين ابن عمنا فننصرف عنكم ، فلا حاجة لنا إلى قتالكم . ولكنه لم يعلم أنه يتحدث مع أنصار دين الله ورسوله ﷺ فهيهات هيهات أن يدخل الخلاف في قلوب قد خالطتها بشاشة الإيمان ، فقد عنّفوه ، وأسمعوه ما يكره.

---

(١) ذكر ابن سعد في الطبقات الكبرى : أن هذا الشعر روي لهند بنت عتبة ؛ كما قال ابن إسحاق ، والشعر ليس لها ، وإنما تمثلت به ، وهو لهند بنت بياضة بن طارق الإيادي ، قالته في حرب الفرس لأياد بجزيرة الموصل . والنمارق : هي البسط والسجاد.
(٢) المخانق : القلائد.
(٣) غير وامق : غير مشتاق.
(٤) البتار : السيف القاطع.

وكان في المشركين أبو عامر الفاسق[1] ، وقد كان رأس الأوس في الجاهلية ، فلما جاء الإسلام شرق به ، وخرج إلى مكة مباعداً لرسول الله ﷺ ، وكان يقول لقريش : إنه مطاع في قومه ، ويعدهم أنه لو قد لقيهم لم يختلف عليه منهم رجلان ، ولما تصاف الجيشان ، كان أول من لقيهم أبو عامر في الأحابيش وعبدان أهل مكة ، فنادى : يا معشر الأوس ، أنا أبو عامر ، قالوا : فلا أنعم الله بك عيناً يا فاسق ، فلما سمع ردهم عليه ، قال : لقد أصاب قومي بعدي شر ، ثم قاتلهم قتالاً شديداً وأرضخهم بالحجارة.

المبارزة :

كان أول من حمل لواء المشركين ، طلحة بن أبي طلحة العبدري ، فلما تقارب الجيشان للقتال ، خرج وهو يركب على جمل ، وكان من أشجع فرسان قريش ، يسميه المسلمون كبش الكتيبة ، ودعا إلى المبارزة ، فأحجم عنه الناس لفرط شجاعته ، ثم برز إليه الزبير بن العوام ، فوثب حتى صار معه على جمله ، ثم ألقاه على الأرض وذبحه بسيفه فكبر رسول الله ﷺ وقال : { إن لكل نبي حوارياً ، وحواري

---

(١) هو أبو عامر عبد عمرو بن صيفي بن النعمان الأوسي ، أحَد بني ضبيعة بن زيد ، كان شريفاً مطاعاً في قومه الأوس ، ترهب في الجاهلية ولبس المسوح ، فسُمّي بالراهب ، وذلك قبل الهجرة ، فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة ، أصر على الكفر وفارق قومه حين اجتمعوا على الإسلام ، وغادر إلى مكة ومعه خمسون غلاماً من الأوس وقيل خمسة عشر ، وكان يسمّى في الجاهلية بالراهب ، فسمّاه رسول الله ﷺ الفاسق ، وهو والد حنظلة بن أبي عامر المعروف بغسيل الملائكة.

الزبير } وبيَّن : أنـه لـو لـم يـبرز إليـه أحَد لـبرز هـو إليـه ، لِما رأى من إحجام الناس عنه[1] ، وهذا من شجاعته ﷺ.

التحام الفريقين :

ثم تدانت الفئتان ، فأذن النبي ﷺ أصحابه أن يقاتلوا العدو ، فالتحم الجيشان ، وتعانقت السيوف ، وحمي الوطيس ، وبدأت مراحل القتال الأولى تثير الغرابة ، كأن ثلاثة آلاف مشرك يقاتلون ثلاثين ألف مسلم ، لا بضع مئات قلائل ! وظهر المسلمون في أعلى صور الشجاعة واليقين ، واشتد القتال ، وشد الزبير بن العوام والمقداد بن الأسود على المشركين فهزماهم ، وحمل النبي ﷺ وأصحابه فهزموا أبا سفيان.

فلما رأى ذلك خالد بن الوليد هاجم بخيل المشركين ، فرمتهم الرماة بالنبال فنكصوا على أعقابهم ، فحاول ثانية وثالثة ولكن الرماة كانوا له بالمرصاد.

معركة اللواء :

واشتد القتال بين الفريقين في كل مكان في ميدان المعركة ، ولكن القتال كان على أشده عند لواء المشركين ، وكان بنو عبد الدار هم حملته.

---

(١) البداية والنهاية.

وبعد ما قتل قائد حملة اللواء طلحة بن أبي طلحة حمل اللواء أخوه أبو شيبة عثمان بن أبي طلحة ، وتقدم وهو يقول :

إنَّ على أهلِ اللواءِ حقا   أن يَخضِبُوا الصَّعْدَةَ أو تندقا

فحمل عليه حمزة بن عبد المطلب فضربه على عاتقه فقطع يده مع كتفه حتى وصل السيف إلى خاصرته ، فبانت رئته.

ثم أخذ اللواء أبو سعد بن أبي طلحة ، فتقدم علي بن أبي طالب وهو يقول : أنا أبو القصم[(١)] ، فناداه أبو سعد بن أبي طلحة : هل لك يا أبا القصم في المبارزة من حاجة ؟ قال نعم : فبرزا بين الصفين فاختلفا ضربتين ، فضربه عليّ فصرعه ثم انصرف ولم يجهز عليه . فقال له بعض أصحابه : أفلا أجهزت عليه ؟ فقال : إنه استقبلني بعورته فعطفتني عليه الرحم ، وعرفت أن الله قد قتله[(٢)].

ثم أخذ اللواء مسافع بن طلحة بن أبي طلحة ، فرماه عاصم بن ثابت ابن أبي الأقلح بسهم فأصابه ، فأتى أمه سُلافة بنت سعد فوضع رأسه في حِجرها ، فقالت : يا بُني من أصابك ؟ فقال سمعت رجلاً حين رماني يقول : خذها وأنا ابن الأقلح ، ثم مات.

ثم حمل اللواء أخوه كلاب بن طلحة بن أبي طلحة ، فقاتله الزبير بن العوام حتى قتله.

---

(١) أبو القصم : هو الذي يحطم كل ما يلقاه.
(٢) وقيل أن الذي قتل أبا سعد بن أبي طلحة سعد بن أبي وقاص.

ثم حمل اللواء أخوهما الجلاس بن طلحة بن أبي طلحة ، فرماه عاصم بن ثابت بسهم ، فأتى أمه فقالت من أصابك ؟ فقال سمعت رجلاً حين رماني يقول : خذها وأنا ابن الأقلح ، فنذرت سُلافة إن أمكنها الله من رأس عاصم أن تشرب فيه الخمر(١).

ثم حمله أرطأة بن شرحبيل ، فتقدم إليه حمزة بن عبد المطلب فقتله ، وقيل قتله علي بن أبي طالب.

ثم حمله شريح بن قارظ ، فقتله قزمان(٢).

ثم حمله أبو زيد عمرو بن عبد مناف العبدري ، فقتله قزمان.

ثم حمله ولد لشرحبيل بن هاشم العبدري ، فقتله قزمان.

ولما سقط اللواء في المرة العاشرة ، لم يبق أحَد من بني عبد الدار ليحمله ، فقد أبيدوا عن آخرهم ، فحمل اللواء غلام لهم حبشي يقال له صواب ، فاستبسل في القتال حتى قتل وهو يقول : اللهم هل أعزرت ، وكان يقصد أعذرت(٣).

وبعد أن قتل صواب بقي اللواء على الأرض ، ولم يبق أحَد يحمله بل لم يجرؤ أحَد على حمله.

---

(١) وكان عاصم بن ثابت قد عاهد الله أن لا يمس مشركاً أبداً ولا يمسه مشرك ، فقُتل عاصم يوم الرجيع ، فأرادت هُذيل أخذ رأسه ليبيعوه من سُلافة بنت سعد فحمته الدُبر ، فقالوا انتظروا المساء حتى تذهب الدبر ، فبعث الله الوادي فاحتمل عاصماً فغيبه . فكان عمر بن الخطاب يقول عن عاصم : يحفظ الله العبد المؤمن ، كان عاصم نذر أن لا يمسه مشرك ولا يمس مشركاً أبداً في حياته فمنعه الله بعد وفاته كما امتنع منه في حياته.

(٢) وكان قزمان هذا منافقاً قاتل مع المسلمين حمية لا عن الإسلام ، وسيأتي خبره.

(٣) أي أنه كان أعجمياً فلفظ الذال زاياً.

قال حسان بن ثابت في ذلك :

فخـرتم باللواء وشرُّ فخرٍ لِـواءٌ حـين رُدَّ إلى صـوابِ
جعلتُـم فخـركم فيه لعبدٍ وألأم من يطا عُفرِ الترابِ

استبسال أبي دُجانة :

وقـاتل أبـو دُجانـة قتالاً شديداً حتى أمعن في الناس ، فجعل لا يلقى أحَداً إلا قتله.

يقول الزبير بن العوام : وجدت في نفسي حين سألت رسول الله ﷺ السيف فمنعنيه وأعطاه أبا دُجانـة ، وقلت : أنا ابن صفية عمته ، ومن قريش ، وقد قمت إليه وسألته إياه قبله ، فأعطاه أبا دُجانة وتركني ، والله لأنظرن ما يصنع ، فاتبعته فأخرج عصابة له حمراء فعصب بها رأسه ، فقالت الأنصار : أخرج أبو دُجانة عصابة الموت ، فخرج وهو يقول :

أنـا الـذي عـاهدني خـليـلي ونحـن بالسَّفـح لـدى الـنخيلِ
أن لا أقوم الدهر في الكَيُّولِ[١] أضربْ بسيفِ اللهِ والرسولِ

وكان في المشركين رجل لا يَدَعُ جريحاً إلا أجهز عليه ، فجعل كل واحد منهما يدنو من صاحبه ، فدعوت الله أن يجمع بينهما ، فالتقيا ،

---

(١) الكيول : آخر الصفوف في الحرب.

فاختلفا ضربتين ، فضرب المشرك أبا دُجانة ، فاتقاه بدرعه ، وضربه أبو دجانة فقتله.

وقال أبو دُجانة : رأيت إنساناً يحمس الناس حمساً شديداً ، فصمدت له ، فلما حملت عليه السيف ولول ، فإذا امرأة - هي هند بنت عتبة - فأكرمت سيف رسول الله ﷺ أن أضرب به امرأة.

وقيل إن كعب بن مالك قال : كنت فيمن خرج مع المسلمين ، فلما رأيت مثل المشركين بقتلى المسلمين قمت فتجاوزت ، فإذا رجل من المشركين جمع اللأمة يجوز المسلمين وهو يقول : استوسقوا كما استوسقت جزر الغنم ، وإذا رجل من المسلمين ينتظره ، وعليه لأمته فمضيت حتى كنت من ورائه ، ثم قمت أقدّر المسلم والكافر ببصري ، فإذا الكافر أفضلهما عدة وهيئة ، فلم أزل أنتظرهما حتى التقيا ، فضرب المسلم الكافر على حبل عاتقه ضربة بالسيف بلغت وركه وتفرق فرقتين !! ثم كشف المسلم عن وجهه ، وقال : كيف ترى يا كعب ؟ أنا أبو دُجانة.

مقتل حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه :

وقاتل حمزة بن عبد المطلب قتال الأبطال ، فقد قتل نفراً من حملة اللواء ، وفعل بأبطال المشركين الأفاعيل ، لا يقف أمامه أحَد ، كان كأنه الجمل الأورق يهد الناس هداً بسيفه ، لا يُبقي به أحَداً ولا يقوم له شيء.

فقد لقيه سِباع بن عبد العزى الغُبْاشي - وكان يكنى بأبي نِيَار - فقال له حمزة : هلم إليَّ يا ابن مُقطعة البُظُور[١] ، أتُحاد الله ورسوله ؟ ثم ضربه ضربة ، فكان كأمس الذاهب.

وكان وحشي غلام جبير بن مطعم يتربص بحمزة ، فكمن له تحت صخرة ينتظره ليدنو منه ، فلما دنا ، هزَّ وحشي حربته حتى إذا رضي منها ، دفعها إليه ، فوقعت في ثُنَّته[٢] وخرجت من بين رجليه ، ثم أقبل أسد الله حمزة يمشي نحو قاتله يريده ، ولكنه غُلب فوقع ، فأمهل وحشي حمزة حتى تأكد من موته ، ثم نزع حربته من حمزة وعاد إلى معسكر المشركين ، ولم يكن له حاجة بسواه[٣].

هكذا قتل حمزة ﷺ وهو في مقدمة الأبطال ، وكان مصرعه مصرع الكريم الذي يُغتال في الظلام ، ولم يجرؤ أحَد على قتاله وجهاً لوجه.

هزيمة المشركين :

وقاتل أبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعلي بن أبي طالب ، وطلحة بن عبيد الله ، وسعد بن أبي وقاص ، ومصعب بن عُمير ،

---

(١) مقطعة البظور : خاتنة النساء ، وكانت أمه أم أنمار مولاة شريق بن عمرو الثقفي.
(٢) أسفل البطن ، ما بين السرة والعانة.
(٣) قال وحشي : فلما رجع الناس رجعت معهم ، فأقمت بمكة حتى فشا فيها الإسلام ، ثم خرجت إلى الطائف ، فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ رسلاً ، فقيل لي ، إنه لا يهيج الرسل ، قال : فخرجت معهم حتى قدمت على رسول الله ﷺ فلما رآني قال : { أنت وحشي } قلت : نعم ، قال : { أنت قتلت حمزة ؟ } قلت : قد كان من الأمر ما بلغك . قال : { فهل تستطيع أن تغيب وجهك عني } أخرجه البخاري وأحمد.
وفي اليمامة قتل وحشي مسيلمة الكذاب بحربته تلك ، وشهد اليرموك.

وأبطال غيرهم كثيرون ، قتال الأبطال الأشداء ، وأبلى كثير من المسلمين بلاء حسناً ، وأظهروا من البطولات ما أعجز المشركين.

وأنزل الله نصره على المسلمين ، وصدقهم وعده ، فحسوهم بالسيوف حتى كشفوهم عن المعسكر ، فانسحبوا من الميدان منهزمين لا يلوون على شيء ، ولجأوا إلى الفرار ، وتبعهم المسلمون يقتلون ويغنمون ، حتى أبصروا خلاخيل النساء وهن مشمرات هوارب ، وأضحت الهزيمة لا شك فيها.

قال الزبير بن العوام : والله لقد رأيتني أنظر إلى خدم(١) هند بنت عتبة وصواحبها مشمرات هوارب ، ما دون أخذهن قليل ولا كثير(٢).

وفي ذلك قال الله سبحانه وتعالى :

﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ﴾(٣).

مخالفة الرماة أمر رسول الله ﷺ :

كانت أوامر رسول الله ﷺ واضحة جلية لا لبس فيها ، فقد كان بقاؤهم على الجبل حفظاً لمؤخرة الجيش ، فما إن رأى الرماة الهزيمة حلَّت بالمشركين ، والغنائم التي خلفوها تزحم الوادي ، حتى تكلموا في النزول ، واختلفوا فيما بينهم ؛ وقالوا لقائدهم عبد الله بن جبير : الغنيمة

---

(١) خدم : خلخال .
(٢) أخرجه ابن إسحاق بإسناد صحيح ، والبيهقي والطبري.
(٣) سورة آل عمران ، الآية ١٥٢ . والحس : القتل.

الغنيمة ، ظهر أصحابكم فماذا تنتظرون ؟ فقال عبد الله بن جبير : أنسيتم ما قال لكم رسول الله ﷺ ؟ قالوا : والله لنأتين الناس فلنصيبنّ من الغنيمة(١) ، فقال : أما أنا فلا أبرح مكاني ، فثبت هو وعشرة من الرماة وغادر الباقون مواقعهم هابطين إلى الميدان يبغون الغنائم ، ظناً منهم بأن الحرب قد وضعت أوزارها ، وأخلوا الثغر.

وكان خالد بن الوليد وفرسان المشركين محصورين لا يجدون ثغرة ينفذون منها ، فلما رأى خالد قلة الرماة على الجبل ، اهتبل هذه الفرصة فاستدار بالخيل ، وشد على بقية الرماة الثابتين وأبادهم ، واندفع بخيله في ظهور المسلمين ، وأحدق بخصومه منحدراً عليهم من حيث لا يحتسبون ، وأخذهم على حين غرة وهم لا هون بجمع الغنائم.

ونادى المشركون بعضهم بعضاً أن ارجعوا ، فعاد كل منهزم منهم ، واندفعت قريش كالسيل الهادر إلى الميدان ، وجاءت امرأة يقال لها عمرة بنت علقمة الحارثية ورفعت لواء المشركين فثابوا إلى رايتهم ، فأحيط بالمسلمين من الأمام والخلف ووقعوا بين شقي الرحى.

قال حسان بن ثابت في رفع الحارثية اللواء :

إذا عَضَلٌ سِيقتْ إلينا كأنها جداية شِركٍ مُعلماتِ الحواجبِ
أقمنا لهم طعناً مبيراً مُنكلاً وحُزناهم بالضرب من كل جانبِ
فلولا لواء الحارثية أصبحوا يباعون في الأسواق بيعَ الجلائبِ

---

(١) أخرجه البخاري.

وهنالك دارت الدائرة على المسلمين ، وانقلبت الموازين ، فوقع الاضطراب في صفوفهم ، وصار كل واحد يلقي بما في يده ويعود إلى سيفه ليقاتل ، ولكن هيهات هيهات ، لقد تفرقت الصفوف ، وتمزقت الوحدة ، وابتلع البحر اللجي من جيش قريش هذه الفئة القليلة من المسلمين.

شائعة مقتل النبي ﷺ :

وقاتل مصعب بن عُمير (١) ببسالة ومعه اللواء ، فلمَّا استشهد أخذ اللواء علي بن أبي طالب وقاتل قتالاً شديداً.

وبينما المعركة تدور بهذه الفوضى ، والارتباك الشديد داخل صفوف المسلمين ، إذ بصارخ يصرخ ألا إن محمداً قد قتل(٢) ، فعظمت البلية ، وطاشت الأحلام ، وذهلوا عن أنفسهم ، فتوقف بعضهم عن القتال ، وألقى بعضهم السلاح ، ومنهم من ولَّى هارباً إلى المدينة حتى دخلها ، ورجع استحياء ، ولكن الله سبحانه وتعالى عفا عنهم ، قال عز وجل :

---

(١) هو مصعب بن عُمير بن هاشم بن عبد مناف ، من بني عبد الدار ، من السابقين إلى الإسلام ، كان فتى مكة في الجاهلية شباباً وجمالاً ونعمة ، ولما ظهر الإسلام زهد في النعيم ، وكان يلقب (مصعب الخير) هاجر إلى الحبشة ، ثم عاد وهاجر إلى المدينة كأول سفير للإسلام ، شهد بدراً وحمل اللواء في أُحُد واستشهد ، فحمل اللواء بعده علي بن أبي طالب ، وروي أنه كان يدافع عن النبي ﷺ فقطعت يده اليمنى فأخذ اللواء باليسرى ، فقطعت اليسرى ، ثم برك على اللواء بصدره وعنقه حتى قتل ، وكان الذي قتله ابن قمئة وهو يظنه النبي ﷺ لشبهه به ، فذهب إلى المشركين وهو يقول قتلت محمداً.

(٢) قال ابن هشام : الصارخ : أزبُّ العقبة ، يعني الشيطان.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾﴾[١].

استشهاد اليمان وثابت بن وقش :

كان اليمان[٢] والد حذيفة[٣] وثابت بن وقش شيخين كبيرين ، فوضعا في الهوادج مع النساء والصبيان لمَّا خرج رسول الله ﷺ إلى أحُد ، فقال أحدهما للآخر : لا أبا لك ، ما تنتظر ؟ فوالله إن بقي لواحد منا من عمره إلا ظِمْءُ حمار[٤] ، إنما نحن هامة اليوم أو غدٍ ، أفلا نأخذ أسيافنا ثم نلحق برسول الله ﷺ لعل الله يرزقنا الشهادة . فأخذا أسيافهما ثم خرجا حتى دخلا في الناس ، ولم يُعلم بهما.

فلما انكشف المسلمون أصاب فيهم العدو ، وثبت بعضهم في الميدان يقاتل ، ولكن بدون ترتيب أو تنظيم ، وارتبكوا إلى الحد الذي لم يقدر بعضهم أن يميز المسلم من الكافر.

فأما ثابت بن وقش فقتله المشركون ، وأما اليمان والد حذيفة ، فقد قتله المسلمون وهم يظنونه من المشركين ، فأخذ حذيفة يقول : أي عباد

(١) سورة آل عمران ، الآية ١٥٥.
(٢) هو حُسَيل بن جابر بن عمرو بن ربيعة العبسي الأنصاري ، حليف بني عبد الأشهل ، شهد هو وابناه حذيفة وصفوان أحُداً مع النبي ﷺ ، واستشهد بأحُد.
(٣) هو حذيفة بن حُسيل بن جابر ، كان صاحب سر النبي ﷺ في المنافقين ، ولاه عمر على المدائن بفارس ، فقد كان من الولاة الشجعان الفاتحين ، هاجم نهاوند ، وفتح الدينور وهمدان والري ، مات بالمدائن سنة ٣٦ هـ ، وله في كتب الحديث ٢٢٥ حديثاً.
(٤) ظمء حمار : أي مدة ما بين الشربتين ، والمراد وقت يسير ، وإنما خص الحمار لأنه أقل الدواب صبراً عن الماء ، وهو مثل يضرب لقرب الأجل.

الله أبي أبي !!! ولكنهم لم ينتبهوا لقول حذيفة فقتلوا أباه ، واعتذروا فيما بعد لحذيفة فقالوا : والله ما عرفناه ! وصدقوا ، فقال حذيفة : يغفر الله لكم .

وأراد رسول الله ﷺ أن يديه ، فقال حذيفة : قد تصدقتُ بديته على المسلمين ، فزاد ذلك حذيفة خيراً عند رسول الله ﷺ(١) . وقال عروة : فوالله ما زالت في حذيفة بقية خير حتى لحق بالله تعالى(٢) .

شجاعة أنس بن النضر(٣) :

ومر أنس بن النضر ، برجال من المسلمين قد ألقوا بأيديهم ، فقال : ما يجلسكم ؟ فقالوا : قُتل رسول الله ﷺ ، قال : فماذا تصنعون بالحياة بعده ؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله ﷺ ، ثم قال : اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء - يعني المسلمين - وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء - يعني المشركين - ثم تقدم فلقيه سعد بن معاذ ، فقال : أين يا أبا عمرو ؟ فقال أنس : واهاً لريح الجنة يا سعد ، إني أجده دون أحُد ، ثم مضى فقاتل القوم حتى قتل ، فما عُرف حتى عرفته أخته الرُّبَيِّع بعد

---

(١) أخرجه البخاري.
(٢) سيرة ابن هشام.
(٣) هو أنس بن النضر بن ضمضم بن النجار الأنصاري ، عم أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ ، قال أنس بن مالك : عمي الذي سُميت به - أنس بن النضر - لم يشهد مع رسول الله ﷺ بدراً ، فشق عليه ذلك ، وقال : أول مشهد شهده رسول الله ﷺ غيبت عنه ! وإن أراني الله مشهداً فيما بعده مع رسول الله ﷺ ليراني الله ما أصنع . قال : فهاب أن يقول غيرها مخافة أن يقول شيئاً يعجز عن فعله.

نهاية المعركة ببنانه ، وبه بضع وثمانون ما بين طعنة برمح ، وضربة بسيف ، ورمية بسهم[١] ، فأنزل الله سبحانه وتعالى فيه وفي أمثاله من المجاهدين الصادقين قوله :

﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾[٢].

مخاطرة رسول الله ﷺ بنفسه :

وكان رسول الله ﷺ قد أفرد في سبعة من الأنصار واثنين من المهاجرين هما : طلحة بن عبيد الله وسعد بن أبي وقاص ، في مؤخرة الجيش الإسلامي ، فلما رأى ما حل بأصحابه من تطويق المشركين لهم وفرار كثير منهم ، أخذ ينادي : { إليَّ عباد الله ، إليَّ عباد الله }[٣].

وكان الفارون لا يلوون على شيء على الرغم من دعوة رسول الله ﷺ لهم بالثبات معه ؛ وفي ذلك أنزل الله سبحانه وتعالى قوله :

﴿ ۞ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ ﴾[٤].

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم.
(٢) سورة الأحزاب ، الآية ٢٣. انظر سبب نزول الآية فهي نزلت في مصعب بن عمير أيضا.
(٣) وهذا من شجاعته عليه الصلاة والسلام ، فهو يعرف أن المشركين سيعرفونه فيبادرون إليه ، رغم ذلك ناداهم مغامرا بنفسه ليجمع صفوف المسلمين المنهزمين.
(٤) سورة آل عمران ، الآية ١٥٣.

فسمعه نفر من المسلمين فانطلقوا مندفعين إليه ، ولكن المشركين كانوا أقرب إلى رسول الله ﷺ من المسلمين ، فعرفوه وبادروا إليه.

قال المقداد : فوالذي بعثه بالحق ما زالت قدمه شبراً واحداً ، وإنه لفي وجه العدو تفيء إليه طائفة من أصحابه مرة ، وتفترق مرة.

خلوص المشركين إلى النبي ﷺ :

فخَلَصَ العدو إلى رسول الله ﷺ وقد أفرد في سبعة من الأنصار ورجلين من قريش ، فلما رهقوه قال : { من يردهم عنا وله الجنة } أو { هو رفيقي في الجنة } فتقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قتل ، فلم يزل كذلك حتى قتل السبعة ، فقال رسول الله ﷺ لصاحبيه : { ما أنصفنا أصحابنا }(١).

وكان آخر هؤلاء السبعة عمارة بن يزيد بن السكن ، قاتل حتى أثبتته الجراح فسقط ، فقال رسول الله ﷺ لمَّا رآه : { أدنوه مني } فأدنوه منه ، فوسده قدمه ، فمات وخده على قدم رسول الله ﷺ.

---

(١) أخرجه مسلم من حديث أنس.
وهذا يروى على وجهين : بسكون الفاء في (أنصفنا) ونصب (أصحابنا) على المفعولية ، وفتح الفاء في (أنصفَنا) ورفع (أصحابنا) على الفاعلية.
ووجه النصب : أن الأنصار لما خرجوا للقتال واحداً بعد واحد حتى قُتلوا ولم يخرج القرشيان ، قال ذلك ، أي : ما أنصفت قريش الأنصار.
ووجه الرفع : أن يكون المراد بالأصحاب ؛ الذين فروا عن رسول الله ﷺ حتى أفرد في النفر القليل ، فقُتلوا واحداً بعد واحد ، فلم يُنصفوا رسول الله ﷺ ومن ثبت معه.

وقاتل طلحة بن عبيد الله دون رسول الله ﷺ قتالاً عظيماً سجله له التاريخ ، فقد شلت يده التي وقى بها النبي ﷺ . ومن حديث جابر ، قال : ثم قاتل طلحة بن عبيد الله حتى ضربت يده فقطعت أصابعه ، فقال : حَسٍّ ، فقال رسول الله ﷺ : { لو قلت بسم الله لرفعتك الملائكة والناس ينظرون }(١) ، وقال عليه الصلاة والسلام عنه يومئذ : { من ينظر إلى شهيد يمشي على وجه الأرض فلينظر إلى طلحة بن عبيد الله }(٢).

وأما سعد بن أبي وقاص فقد نثل(٣) له رسول الله ﷺ كنانته وقال : { ارم فداك أبي وأمي } ولم يجمع النبي ﷺ أبويه لأحَد إلا لسعد بن أبي وقاص كما قال هو عن نفسه وكما قال عنه علي بن أبي طالب (٤).

وكان أبو طلحة(٥) بين يدي رسول الله ﷺ مجوّباً(٦) بجحفة(٧) له ، وكان أبو طلحة رجلاً رامياً شديد النزع(٨) كسر يومئذ قوسين أو ثلاثاً ، وكان الرجل يمر معه الجعبة(٩) من النبل ، فيقول رسول الله ﷺ :

---

(١) فتح الباري . وروى أبو داود الطيالسي عن عائشة أنها قالت : كان أبو بكر إذا ذكر يوم أحُد قال : ذلك اليوم كله لطلحة.
(٢) أخرجه الترمذي.
(٣) استخرج ما فيها من السهام.
(٤) ومن حديث سعيد بن المسيب قال سعد بن أبي وقاص : { جمع لي رسول الله ﷺ أبويه كليهما } أخرجه البخاري.
وقال علي بن أبي طالب : { ما سمعت النبي ﷺ جمع أبويه لأحَد إلا لسعد بن مالك بن أبي وقاص } أخرجه البخاري.
(٥) هو : زيد بن سهل الأنصاري ، وهو زوج والدة أنس.
(٦) مجوب : مترس عليه ليقيه من الكفار.
(٧) الجحفة : الترس.
(٨) شديد الرمي بالسهام.
(٩) الكنانة التي تجعل فيها السهام.

{ انثرها لأبي طلحة } ، وعندما يشرف النبي ﷺ ينظر إلى القوم ، يقول له أبو طلحة : بأبي أنت وأمي لا تشرف يصبك سهم من سهام القوم نحري دون نحرك(١) . وهو الذي قال عنه عليه الصلاة والسلام : { لصوت أبي طلحة في الجيش أشد على المشركين من فئة }(٢).

وترّس أبو دُجانة نفسه يحمي رسول الله ﷺ بظهره ، والنبل يتلاحق في ظهره وهو منحنٍ عليه لا يتحرك . وقد ورد أن رسول الله ﷺ رمى عن قوسه حتى اندقت طرفها ، فأخذها قتادة بن النعمان فكانت عنده(٣).

وقاتل عبد الرحمن بن عوف حتى أصيب فُوه يومئذ فهتم(٤) ، وجرح عشرين جراحة أو أكثر ، أصابه بعضها في رجله فعرج.

بطولة امرأة :

وفي هذه الظروف العصيبة اضطرت أم عُمارة نسيبة بنت كعب المازنية أن تدافع عن رسول الله ﷺ ، فقاتلت قتال الرجال الأشاوس ، فضربها ابن قمئة على عاتقها ضربة تركت جرحاً أجوف ، وضربت هي ابن قمئة عدة ضربات بسيفها ، ولكن كانت عليه درعان فنجا ، وبقيت تقاتل حتى أصابها اثنا عشر جرحاً ثم غُشي عليها ، فلما أفاقت قالت : أين رسول الله ﷺ وما صنع المشركون معه ؟ فقالوا لها : بخير.

---

(١) أخرجه البخاري من حديث أنس.
(٢) أخرجه أحمد.
(٣) أخرجه ابن إسحاق بإسناد منقطع.
(٤) كسرت ثنيته.

وروى الواقدي بسنده عن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول : { ما التفتُّ يوم أحُد يميناً وشمالاً إلا وأراها تقاتل دوني }[١].

ما أصاب النبي ﷺ من الجراح :

وبرغم قتال الأبطال الأشاوس ودفاعهم عن رسول الله ﷺ بنحورهم إلا أن المشركين قد ركّزوا حملتهم على النبي ﷺ وطمعوا في قتله.

فرماه عتبة بن أبي وقاص[٢] بالحجارة فكسر رباعيته[٣] اليمنى السفلى ، وكلمت شفته السفلى ، ووقع لشقه ، وتقدم إليه عبد الله بن شهاب الزهري ، فشجه في جبهته ، وجاء إليه ابن قمئة وضربه بالسيف ضربة قوية على عاتقه شكى لأجلها شهراً كاملاً عليه الصلاة والسلام ، إلا أن ابن قمئة لم يتمكن من هتك الدرعين ، ثم ضربه على وجنته حتى دخلت حلقتان من حلق المغفر في وجنته الشريفة[٤].

---

(١) السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة . وتاريخ نسيبة بنت كعب رضي الله عنها حافل في باب الجهاد ، فقد ذكر ابن عبد البر في ترجمتها أنها شهدت أحُداً مع زوجها زيد بن عاصم وابنيها حبيب وعبد الله ، وشهدت بيعة الرضوان ، وقتل مسيلمة الكذاب ولدها حبيب بن زيد ، وشاركت في حروب الردة ، وشارك ولدها عبد الله بن زيد وحشياً في قتل مسيلمة الكذاب ، ثم عادت وقد فقدت في حروب الردة يداً وابناً ، ولكنها كانت قريرة العين راضية بقدر الله تعالى لها . ومن أراد الاستزادة من خبرها فليرجع إلى كتاب الإصابة.

(٢) عتبة بن أبي وقاص هو أخو سعد بن أبي وقاص . وكان سعد يقول : ما حرصت على قتل أحَد قط ما حرصت على قتل عتبة ، ولقد كفاني فيه رسول الله ﷺ إذ دعا عليه أن لا يحول عليه الحول حتى يموت ، فمات قبل أن يحول عليه الحول مشركاً.

(٣) الرباعية : هي السن التي بين الثنية والناب ، والمراد بكسرها : ذهاب فلقة منها وليس اقتلاعها.

(٤) وكان ابن قمئة ـ عمرو بن قمئة الليثي ـ يقول وهو يضرب النبي ﷺ خذها وأنا ابن قمئة ، فقال له رسول الله ﷺ : { أقمأك الله } . فعن ابن عائذ أن ابن قمئة انصرف إلى أهله فخرج إلى غنمه ، فوافاها على ذروة جبل ، فأخذ فيها يعترضها ، فشد عليه تيسها فنطحه نطحة أرداه من شاهق الجبل فتقطع . فتح الباري.

وفي الصحيح : أنه ﷺ كسرت رباعيته ، وشج في رأسه ، فجعل يسلت الدم عنه ويقول : { كيف يفلح قوم شجوا وجه نبيهم ، وكسروا رباعيته ، وهو يدعوهم } فأنزل الله قوله : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾[1].

وقال حسان بن ثابت ﷺ في عدو الله عتبة بن مالك بن أبي وقاص :

إذا اللهُ جازى معشراً بِفِعالِهم ... ونَصْرِهِمُ الرحمنَ ربَّ المشارق
فأخزاكَ ربي يا عُتيبَ بْنَ مالِكٍ ... ولَقَّاكَ قبلَ الموتِ إحدى الصواعِق
بَسَطْتَ يميناً للنبيِّ تعَمُّداً ... فأدميتَ فاهُ قُطِّعت بالبوارق
فهلاَّ ذكرتَ اللهَ والمَنْزِلَ الذي ... تصيرُ إليهِ عندَ إحدى البوائق

معجزات نبوية :

أصيبت يومئذ عين قتادة بن النعمان حتى سقطت على وجنته ، فردها رسول الله ﷺ بيده الشريفة ، فكانت أحسن عينيه وأحدَّهما ، وكانت لا ترمد إذا رمدت الأخرى[2].

---

(١) سورة آل عمران ، الآية ١٢٨. أخرجه أحمد ومسلم.
(٢) وذكر الأصمعي : عن أبي معشر المدني قال : وفد على عمر بن عبد العزيز رجلاً من ولد قتادة بن النعمان ، فقال له عمر : ممن الرجل ؟ فقال :

أنا ابنُ الذي سالتْ على الخدِّ عينُهُ ... فرُدَّتْ بكفِّ المصطفى أحسنَ الردِّ
فعادتْ كما كانتْ لأولِ أمرِها ... فيَا حُسنُ ما عينٍ ويا حسنَ ما خدِّ

فقال عمر بن عبد العزيز :

تِلكَ المكارمُ لا قَعْبَان من لبنٍ ... شِيبا بماءٍ فعادا بعدُ أبوالا

قال نافع بن جبير : سمعت رجلاً من المهاجرين يقول : شهدت أحُداً فنظرت إلى النبل يأتي من كل ناحية ، ورسول الله ﷺ وسطها ، كل ذلك يصرف عنه . ولقد رأيت عبد الله بن شهاب الزهري يقول يومئذ : دلوني على محمد فلا نجوت إن نجا ، ورسول الله ﷺ إلى جنبه ما معه أحَد ، ثم جاوزه ، فعاتبه في ذلك صفوان ، فقال : والله ما رأيته ، أحلف بالله أنه منا ممنوع . فخرجنا أربعة ، فتعاهدنا وتعاقدنا على قتله ، فلم نخلص إليه(١).

ورُمي يومئذ أبو رهم الغفاري كلثوم بن الحصين بسهم فوقع في نحره ، فجاء رسول الله ﷺ فبصق عليه فبرأ(٢).

قتال الملائكة دفاعاً عن رسول الله ﷺ :

وقاتلت الملائكة دون رسول الله ﷺ ، فقد قال سعد ابن أبي وقاص رضي الله عنه : رأيت رجلين عن يمين رسول الله ﷺ ويساره يوم أحُد عليهما ثياب بيض يقاتلان عنه كأشد القتال ما رأيتهما قبل ولا بعد(٣).

وقد ثبت أن الله تعالى أرسل جبريل وميكائيل من الملائكة ليقاتلا دفاعاً عن رسوله ﷺ ، لأن الله تعالى تكفل بعصمته من الناس ، ولم يصح أن الملائكة قاتلت في أحُد سوى هذا القتال ، وكان الله قد وعد

---

(١) زاد المعاد.
(٢) الإصابة.
(٣) أخرجه البخاري.

المؤمنين أنه سيمدهم بالملائكة ، ولكنه جعل وعده معلقاً على ثلاثة أمور :

١) الصبر.

٢) التقوى.

٣) إتيان الأعداء من فورهم.

ولم تتحقق هذه الأمور الثلاثة ، فلم يحصل الإمداد[1].

قال الله تبارك وتعالى : ﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾[2].

مُخيْرِيق خيرُ يهود :

وكان ممن قتل يوم أحُد مخيريق ، وهو أحَد بني ثعلبة بن الفِطْيَوْن ، فلما كان يوم أحُد قال : يا معشر يهود ، والله لقد علمتم أن نصر محمد عليكم لحق ، قالوا : إن اليوم يوم سبت ، قال : لا سبت لكم ، فأخذ سيفه وعدته وقال : إن أصبت فمالي لمحمد يصنع فيه ما شاء . ثم غدا إلى

---

(١) تفسير ابن كثير.
(٢) سورة آل عمران ، الآية ١٢٤- ١٢٥ . انظر تفسير الآية عند الطبري.

رسول الله ﷺ فقاتل معه حتى قتل ، فقال رسول الله ﷺ : { مخيريق خير يهود }(١).

التفاف الصحابة حول رسول الله ﷺ :

إن كل ما وقع من أحداث كان بسرعة هائلة وفي لحظات خاطفة ، فقد تركت هذه الاستماتة من الصحابة رضوان الله عليهم الذين دافعوا عن رسول الله ﷺ دفاع المستميت أثرها في نفوس المشركين ، ففترت حدة قريش في محاولة قتل رسول الله ﷺ ، وكان مما فتر عزمهم أيضاً هو سماعهم بموت رسول الله ﷺ .

فاشتد المسلمون يريدون الوصول إلى رسول الله ﷺ قبل أن يصله المشركون ، إلا أنهم وصلوا إليه وقد لقي ما لقي من الجراحات ، وستة من الأنصار قد قتلوا ، والسابع قد أثبتته الجراح ، وسعد وطلحة يكافحان أشد الكفاح ، فلما وصلوا أقاموا حوله سياجاً من أجسادهم وسلاحهم ، وكان أول من رجع إليه أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

قال أبو بكر الصديق : لما كان يوم أحُد انصرف الناس كلهم عن النبي ﷺ فكنت أول من فاء إليه ، فرأيت بين يديه رجلاً يقاتل عنه ويحميه ، قلت : كن طلحة فداك أبي وأمي ، كن طلحة فداك أبي وأمي ، فلم أنشب أن أدركني أبو عبيدة بن الجراح ، وإذا هو يشتد كأنه طير

---

(١) أخرجه ابن إسحاق. وقال السهيلي : كانت أموال مخيريق سبع حوائط ، جعلها رسول الله ﷺ أوقافا بالمدينة لله . وقال محمد بن كعب القرظي : كانت أول وقف في المدينة.

حتى لحقني ، فدفعنا إلى النبي ﷺ ، فإذا طلحة بين يديه صريعاً ، فقال رسول الله ﷺ : { دونكم أخاكم فقد أوجب } وقد رمي النبي ﷺ في وجنته حتى غابت حلقتان من حلق المغفر في وجنته ، فذهبت لأنزعهما عن النبي ﷺ فقال أبو عبيدة : نشدتك بالله يا أبا بكر إلا تركتني ، قال فأخذ بفيه فجعل ينضضه كراهية أن يؤذي رسول الله ﷺ ، ثم استل السهم بفيه فندرت ثنية أبي عبيدة ، قال أبو بكر : ثم ذهبت لآخذ الآخر ، فقال أبو عبيدة : نشدتك بالله يا أبا بكر إلا تركتني ، قال فأخذه فجعل ينضضه حتى استله ، فندرت ثنية أبي عبيدة الأخرى ، ثم قال رسول الله ﷺ { دونكم أخاكم فقد أوجب } ، قال : فأقبلنا على طلحة نعالجه وقد أصابته بضع عشرة ضربة(١).

وامتصَّ مالك بن سنان(٢) أبو أبي سعيد الخدري الدم عن وجه رسول الله ﷺ حتى أنقاه ، فقال له رسول الله ﷺ : { مجه } قال : والله لا أمجه أبداً ، ثم أدبر ، فقال النبي ﷺ : { من أراد أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا }(٣).

---

(١) زاد المعاد.

(٢) هو مالك بن سنان بن عبيد الخزرجي الخدري الأنصاري ، والد أبي سعيد الخدري ، رُوي أنه ظل ثلاثة أيام خالي البطن لم يأكل ولم يسأل أحَداً شيئاً ، فقال النبي ﷺ { من أراد أن ينظر إلى العفيف المسألة ، فلينظر إلى مالك بن سنان } استشهد رضي الله عنه يوم أحُد ، قتله عراب بن سفيان الكناني.

(٣) الإصابة . وروى أبو سعيد الخدري : أصيب وجه رسول الله ﷺ ، فاستقبله أبي فمسح الدم عنه ثم ازدرده ، فقال النبي ﷺ : { من أراد أن ينظر إلى من خالط دمه دمي فلينظر إلى مالك بن سنان }.

ظن علي بن أبي طالب أن رسول الله ﷺ قد رُفع :

قال علي بن أبي طالب : لما انجلى الناس عن رسول الله ﷺ يوم أحُد نظرت إلى القتلى فلم أرَ رسول الله ﷺ فيهم ، فقلت : والله ما كان ليفر وما أراه في القتلى ، ولكن أرى أن الله غضب علينا بما صنعنا فرفع نبيه ﷺ ، فما فيَّ خير من أن أقاتل حتى أقتل ، فكسرت جفن سيفي ، ثم حملته على القوم فأفرجوا لي ، فإذا برسول الله ﷺ بينهم(١).

أول من أعلن بقاء النبي ﷺ على قيد الحياة :

وكان أولَ من عرفَ رسول الله ﷺ بعد الهزيمة وبعد قول الناس قُتل رسول الله ﷺ كعب بن مالك ، قال : عرفتُ عينيه تُزهران من تحت المغفر ، فناديتُ بأعلى صوتي : يا معشر المسلمين ! أبشروا هذا رسول الله ﷺ . فأشار له رسول الله ﷺ أن أنصت(٢) حتى لا يشعر العدو بذلك.

ثم فاءت إلى رسول الله ﷺ فئة من المسلمين فأجهضوا الكفار عنه ، ووقع رسول الله ﷺ في حفرة من الحفر التي حفرها أبو عامر الفاسق وغطاها ليقع فيها المسلمون وهم لا يعلمون ، فأخذ علي بن أبي طالب

---

(١) رواه أبو يعلى بإسناد حسن.

(٢) مستدرك الحاكم . وكانت حكمة من النبي ﷺ ، فإن شائعة قتله كان من شأنها أن يخفف المشركون الوطأة على المسلمين.

بيد النبي ﷺ ، واحتضنه طلحة بن عبيد الله حتى استوى قائماً عليه الصلاة والسلام.

فلمَّا عرف المسلمون رسول الله ﷺ نهضوا به ، ونهض معهم نحو الشعب ، ومعه أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام والحارث بن الصمة ورهط من المسلمين رضي الله عنهم أجمعين.

تغشية النعاس المسلمين يوم أُحُد :

لقد كان المسلمون مغتمين لما أصاب رسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى النعاس عليهم ، فناموا يسيراً ثم أفاقوا وقد قذف الله في قلوبهم الطمأنينة التي أعادت لهم بعض نشاطهم ليواصلوا الدفاع عن نبيهم.

قال أبو طلحة الأنصاري : كنت فيمن تغشاه النعاس يوم أحُد حتى سقط سيفي من يدي مراراً ، يسقط وآخذه ، يسقط وآخذه(١).

وقال أيضاً : رفعت رأسي يوم أحُد فجعلت أنظر ، وما منهم من أحَد إلا وهو يميل تحت حجفته من النعاس ، وهو قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ﴾(٢).

---

(١) أخرجه البخاري.
(٢) سورة آل عمران ، الآية ١٥٤. أخرجه أحمد والحاكم من طريق ثابت عن أنس.

أما طائفة المنافقين ، سواء التي انسحبت مع كبير المنافقين عبد الله بن أبي ، أو بقيتهم التي سارت مع المؤمنين ، فقد قال عز وجل عنهم :

﴿ وَطَآئِفَةٌ قَدۡ أَهَمَّتۡهُمۡ أَنفُسُهُمۡ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ مِن شَيۡءٖۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَمۡرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِۗ يُخۡفُونَ فِيٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبۡدُونَ لَكَۖ يَقُولُونَ لَوۡ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٞ مَّا قُتِلۡنَا هَٰهُنَاۗ ﴾(١).

الانسحاب إلى الشعب :

أخذ رسول الله ﷺ في الانسحاب المنظم إلى شعب الجبل وهو يشق الطريق بين المشركين ، واشتد المشركون في هجومهم لعرقلة الانسحاب ، ولكنهم فشلوا في ذلك.

فقد تقدم فارس من فرسان قريش هو عثمان بن عبد الله بن المغيرة إلى رسول الله ﷺ وهو يقول : لا نجوت إن نجا ، وقام رسول الله ﷺ لمواجهته ، إلا أن الفرس عثرت في بعض الحفر ، فضربه الحارث بن الصمة على رجله فأقعده ، ثم ذفف عليه وأخذ سلاحه.

ثم تقدم فارس آخر من فرسان قريش هو عبد الله بن جابر فضرب الحارث بن الصمة بالسيف على عاتقه ، ولكن أبا دُجانة انقض عليه

(١) انظر تفسير الطبري وتفسير ابن كثير.

فضربه بالسيف ضربة أطارت رأسه ، وحمل المسلمون الحارث بن الصمة.

مقتل عدو الله أُبَيٍّ بن خلف :

فلمَّا أسند رسول الله ﷺ في الشِّعب ، أدركه أبي بن خلف[1] وهو يقول : أين محمد ؟ لا نجوت إن نجا ، فقال القوم : يا رسول الله أيعطف عليه رجل منا ؟ فقال رسول الله ﷺ : { دعوه } فلما دنا منه تناول رسول الله ﷺ الحربة من الحارث بن الصمة ، فلما أخذها رسول الله ﷺ منه انتفض بها انتفاضة تطايروا عنه تطاير الشعر عن ظهر البعير إذا انتفض ، ثم استقبله وأبصر ترقوته من فُرجة بين سابغة الدرع والبيضة ، فطعنه فيها طعنة تدحرج منها عن فرسه مراراً.

قال ابن إسحاق : وكان أبي بن خلف يلقى رسول الله ﷺ بمكة فيقول له : يا محمد ، إن عندي العَوْدَ فرساً أعلفه كل يوم فرقاً من ذرة[2] ، أقتلك عليه ، فيقول رسول الله ﷺ : { بل أنا أقتلك إن شاء الله }.

فلما رجع إلى قريش وقد خدشه في عنقه خدشاً غير كبير ، فاحتقن الدم ، قال : قتلني والله محمد ، قالوا له : ذهب والله فؤادك ، والله إن بك من بأس ، قال: إنه قد كان قال لي بمكة { أنا أقتلك } فوالله لو بصق

(١) هو أخو عدو الله أمية بن خلف الذي قُتل في بدر.
(٢) أي يطعمه كل يوم اثني عشر رطلاً من الذرة.

عليَّ لقتلني ، فمات عدو الله بسَرِف[١] وهم قافلون به إلى مكة[٢] ، وبحسب قول رسول الله ﷺ فيه : { اشتد غضب الله على من قتله رسول الله بيده في سبيل الله }[٣].

انتهاء النبي ﷺ إلى الشعب :

وفي أثناء الانسحاب إلى الجبل عرضت لرسول الله ﷺ صخرة ، فأراد أن يعلوها ولم يستطع ذلك لكثرة ما نزف من دمه الطاهر ، ولأنه كان قد ظاهر بين درعين ، فجلس تحته طلحة بن عبيد الله ، فنهض به حتى استوى عليها ، فقال رسول الله ﷺ حينئذ : { أوجب طلحة }[٤].

فلما انتهى رسول الله ﷺ إلى فم الشعب خرج علي بن أبي طالب فملأ درقته ماءً من المهراس[٥] فجاء به إلى رسول الله ﷺ ليشرب منه فوجد له ريحاً ، فكرهه ولم يشرب منه ، وغسل عن وجهه الدم وصب على رأسه وهو يقول : { اشتد غضب الله على قوم دمَّوا وجه رسوله }[٦] ، ثم مكث ساعة ، ثم قال : { اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون }[٧].

---

(١) سرف : مكان يبعد عن مكة ستة أميال.
(٢) أخرجه ابن إسحاق بإسناد منقطع . وهذا من دلائل نبوته ﷺ.
(٣) أخرجه البخاري.
(٤) أي وجبت له الجنة.
(٥) الدرقة : الترس من جلد . والمهراس : حوض يُنقر في الصخر ، ويُجعل إلى جانب البئر ، وقد يُجعل بسفوح الجبال لتستقر به مياه الأمطار ، فينتفع به الناس.
(٦) أخرجه الطبراني.
(٧) فتح الباري.

وكانت فاطمة رضي الله عنها تغسل الدم ، وكان علي يسكب عليها بالمجن ، فلما رأت فاطمة الماء لا يزيد الدم إلا كثرة ، أخذت قطعة من حصير فأحرقته حتى صار رماداً ، ثم ألصقته بالجرح ، فاستمسك الدم(١).

الهجمة الأخيرة للمشركين :

بينا رسول الله ﷺ في الشعب مع أولئك النفر من أصحابه إذ علت عالية من قريش الجبل ، فيهم خالد بن الوليد ، فقال رسول الله ﷺ : { اللهم إنه لا ينبغي لهم أن يعلونا } فقاتل عمر بن الخطاب ورهط معه من المهاجرين حتى أهبطوهم من الجبل ، وكان هذا آخر هجوم قام به المشركون(٢).

تمثيل هند بحمزة بن عبد المطلب ﷺ :

ووقعت هند بنت عتبة والنسوة اللاتي معها يُمَثِّلنَ بالقتلى من أصحاب رسول الله ﷺ يقطعن الآذان والأنوف ، حتى اتخذت هند من آذان الرجال وأنوفهم خلاخيلَ وقلائد ، وأعطت خلاخيلها وقلائدها وحشياً غلام جبير بن مطعم ، وبقرت عن كبد حمزة فلاكتها فلم تستطع أن تُسيغها ، فلفظتها.

---

(١) أخرجه البخاري.
(٢) أخرجه ابن إسحاق.

ثم علت بعد ذلك على صخرة مشرفة فصرخت بأعلى صوتها ، فقالت :

نحنُ جزيناكم بيوم بدرِ والحربُ بعد الحرب ذاتُ سُعرِ
ما كان عن عُتبة لي من صبرِ ولا أخي وعمِّه وبِكري
شَفَيْتُ نفسي وقضيتُ نذري شفيتَ وحشيٌّ غليل صدري
فشُكرُ وحشيٍّ عليَّ عمري حتى تَرِمَّ أعظُمي في قبري

فأجابتها هند بنت أثاثة بن عباد بن المطلب ، فقالت :

خزيتِ في بدرٍ وبعد بدرِ يا بنتَ وَقّاعٍ عظيم الكفرِ
صبَّحك الله غداةَ الفجرِ بالهاشميِّين الطِّوال الزُّهرِ
بكُلِّ قطّاعٍ حُسامٍ يفري حمزةُ ليثي وعليٌّ صقري
إذا رامَ شيْبٌ وأبوك غدري فخضَّبنا منه ضواحي النَّحرِ
ونذرُكِ السُّوءَ فشرُّ نذرِ

وأخذ أبو سفيان يضرب في شِدق حمزة بن عبد المطلب بزُج الرمح وهو يقول : ذُق عُقَقُ ، فمرَّ به سيد الأحابيش الحُليس بن زبَّان الكناني فقال : يا بني كنانة ، هذا سيدُ قريش يصنع بابن عمه ماترون ، فقال أبو سفيان : ويحك ! اكتُمها عني فإنها زلة(١).

---

(١) سيرة ابن هشام.

شماتة أبي سفيان :

يئس المشركون من إنهاء المعركة بنصر حاسم ، وحاولوا جهد طاقتهم أن يقتلوا رسول الله ﷺ فلم يستطيعوا إلى ذلك سبيلاً ، فقد صمد المسلمون صمود المستميت دفاعاً عن رسول الله ﷺ ، ففشل المشركون في الوصول إليه ، وتعبوا من جلادة المسلمين ، فأشرف أبو سفيان على المسلمين وقال :

أفي القوم محمد ؟ فقال رسول الله ﷺ : { لا تجيبوه }.

فقال : أفي القوم ابن أبي قحافة ؟ قال : { لا تجيبوه }.

فقال : أفي القوم ابن الخطاب(١) ؟ ثم قال : إنّ هؤلاء قُتلوا ، فلو كانوا أحياء لأجابوا(٢).

فلم يملك عمر نفسه ، فقال : كذبت يا عدو الله ، أبقى الله عليك ما يخزيك.

فقال أبو سفيان : اعلُ هبل ، فقال النبي ﷺ { أجيبوه } ، قالوا : ما نقول ؟ قال : { قولوا : الله أعلى وأجل }.

قال أبو سفيان : لنا العزى ولا عزى لكم ، فقال عليه الصلاة والسلام : { أجيبوه } ، قالوا : ما نقول ؟ قال : { قولوا : الله مولانا ولا مولى لكم }.

---

(١) ولم يسأل عن غير هؤلاء الثلاثة لعلمه وعلم قومه أن قيام الإسلام بهم.
(٢) وكان السكوت عن إجابة أبي سفيان تصغيراً له من جهة ، وحتى إذا فرح وملأه الكبر وظن أن الثلاثة قتلوا ، أخبروه حقيقة الأمر فشرق بذلك من جهة أخرى.

قال أبو سفيان : يوم بيوم بدر والحرب سجال ، وتجدون مثلة لم آمر بها ولم تسؤني[١].

فقال عمر : لا سواء ، قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار[٢].

ثم قال أبو سفيان : هلم إليَّ يا عمر ، فقال رسول الله ﷺ : { ائته فانظر ما شأنه ؟ } فجاءه ، فقال له أبو سفيان : أنشدك الله يا عمر أقتلنا محمداً ؟ قال عمر : اللهم لا ، وإنه ليستمع كلامك الآن . قال : أنت أصدق عندي من ابن قمئة وأبر . وذلك لقول ابن قمئة : إني قتلت محمداً.

ولما انصرف أبو سفيان ومن معه نادى : إن موعدكم بدر للعام القابل ، فقال رسول الله ﷺ لرجل من أصحابه : { قل نعم هو بيننا وبينك موعد }[٣].

رسول الله ﷺ يتثبت من موقف المشركين :

وعندما انصرف المشركون بعث رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب ، وقال له : { اخرج في آثار القوم فانظر ما ذا يصنعون وما يريدون ، فإن كانوا قد جنبوا الخيل[٤] وامتطوا الإبل ، فإنهم يريدون مكة ، وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل ، فإنهم يريدون المدينة ، والذي نفسي بيده ،

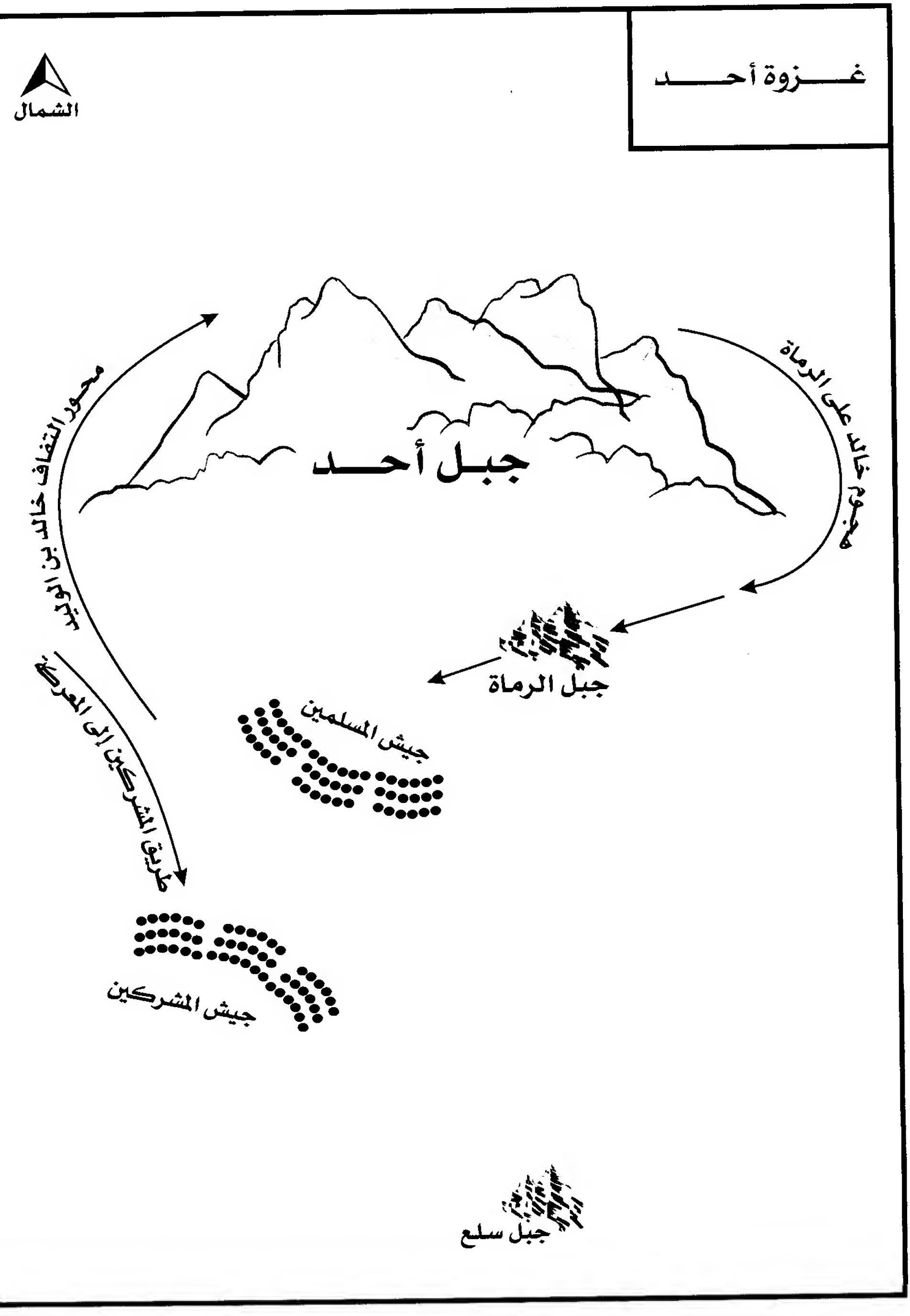
---

(١) أخرجه البخاري.
(٢) من رواية أحمد وابن إسحاق.
(٣) سيرة ابن هشام.
(٤) أي جعلوها إلى جنوبهم ليستعينوا بها ويستخدموها وقت الحاجة.

لئن أرادوها لأسيرن إليهم فيها ثم لأناجزنهم } وفعل علي ما أمر به ، فوجدهم قد جنبوا الخيل وامتطوا الإبل ووجهوا إلى مكة[1].

* * * * *

(١) أخرجه ابن إسحاق بدون إسناد.



خـــريطة رقـــم ٢

في أعقاب المعركة

حزن رسول الله ﷺ على ما أصاب حمزة :

وخرج رسول الله ﷺ يلتمس حمزة رضي الله عنه ، فوجده ببطن الوادي قد بقر بطنه عن كبده ومُثل به ، فجدع أنفه وأذناه ، فقال حين رأى ما به : { لولا أن تحزن صفية ، وتكون سنة من بعدي ، لتركته حتى يكون في بطون السباع وحواصل الطير ، ولئن أظهرني الله على قريش في موطن من المواطن لأمثلن بثلاثين رجلاً منهم } فلما رأى المسلمون حزن رسول الله ﷺ وغيظه على من فعل بعمه ما فعل قالوا : والله لئن أظفرنا الله بهم يوماً من الدهر لنمثلن بهم مثلة لم يمثلها أحَد من العرب.

فنزل قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ ﴾[1] فعفا رسول الله ﷺ وصبر ونهى عن المثلة.

وقال ابن هشام : لما وقف النبي ﷺ على حمزة قال : { لن أصاب بمثلك أبداً ، ما وقفت قط موقفاً أغيظ إلي من هذا } ثم قال : { جاءني

(١) سورة النحل ، الآية ١٢٦. أخرجه ابن إسحاق بإسناد منقطع.

جبريل فأخبرني أن حمزة مكتوب في السماوات السبع ، حمزة بن عبد المطلب أسدُ الله وأسدُ رسوله } [١].

ثم أقبلت صفية بنت عبد المطلب رضي الله عنها لتنظر إلى أخيها حمزة ، وكان أخاها لأبيها وأمها ، فقال رسول الله ﷺ لابنها الزبير بن العوام : { القها فارجعها لا ترى ما بأخيها } فقال لها يا أمه إن رسول الله ﷺ يأمرك أن ترجعي ، فقالت : ولم ، وقد بلغني أن قد مُثِّل بأخي وذلك في الله ؟ فما أرضانا بما كان من ذلك ، لأحتسبن ولأصبرن إن شاء الله ، فجاء الزبير إلى رسول الله ﷺ فأخبره بذلك ، فقال : { خل سبيلها } فأتته فنظرت إليه ، ثم صلت عليه واسترجعت ، واستغفرت له [٢].

الرسول ﷺ يسأل عن سعد بن الربيع [٣] ﷺ :

وقال رسول الله ﷺ : { من رجل ينظر لي ما فعل سعد بن الربيع ؛ أفي الأحياء هو أم في الأموات } فقال رجل من الأنصار [٤] : أنا أنظر لك يا رسول الله ما فعل سعد بن الربيع ؛ فنظر فوجده جريحاً في القتلى

---

(١) البداية والنهاية . وكان حمزة وأبو سلمة أخوي رسول الله ﷺ من الرضاعة ، أرضعتهم ثلاثتهم ثويبة مولاة أبي لهب.

(٢) سيرة ابن هشام.

(٣) هو سعد بن الربيع بن عمرو الخزرجي الأنصاري ، شهد العقبة الأولى والثانية وكان نقيب بني الحارث وشهد بدراً واستشهد يوم أُحُد ، وقد أخى النبي ﷺ بينه وبين عبد الرحمن بن عوف ، فعرض عليه أن يناصفه أهله وماله ، فقال له : بارك الله لك في أهلك ومالك دلني على السوق.

(٤) ذكر الواقدي بأن الرجل هو : محمد بن مسلمة ، وذكر أبو عمر في كتاب الصحابة أن الرجل هو : أبي بن كعب ، وذكر ابن هشام أنه زيد بن ثابت.

وبه رمق ، فقال لـه : إن رسول الله ﷺ قد أمرني أن أنظر أفي الأحياء أنت أم في الأموات ؟ قال : أنا في الأموات ، فأبلغ رسول الله ﷺ عني السلام ، وقل لـه إن سعد بن الربيع يقول لك : جزاك الله عنا خير ما جزى نبياً عن أمته ، وأبلغ قومك عني السلام ، وقل لهم إن سعد بن الربيع يقول لكم : إنه لا عذر لكم عند الله إن خُلِصَ إلى نبيكم ﷺ وفيكم عين تطرف ، ثم فاضت نفسه رحمه الله ورضي عنه(١).

حنظلة غسيل الملائكة :

التقى حنظلة بن أبي عامر(٢) وأبو سفيان بن حرب أثناء القتال ، فعلا حنظلة أبا سفيان بالسيف ، لكن شداد بن الأسود(٣) رآه فضربه بالسيف قبل أن يضرب أبا سفيان فقتله ، فمر به رسول الله ﷺ وقال : { إن صاحبكم تغسله الملائكة ، فاسألوا صاحبته } وكانت زوجته جميلة بنت عبد الله بن أبي بن سلول عروساً عليه تلك الليلة ، فقالت : لما سمع داعي الجهاد خرج وهو جنب ، فقال رسول الله ﷺ : { لذلك غسلته الملائكة }(٤).

---

(١) سيرة ابن هشام.
(٢) واسمه عمرو ، وأبوه أبو عامر الراهب الذي سماه رسول الله ﷺ بالفاسق . وقد مر هذا الفاسق على حنظلة بعد استشهاده وضربه برجله وقال : لقد نهيتك عن مصرعك هذا ، ولقد كنت وصولاً للرحم ، براً بالوالد . سبحان الله !!! لمّا كان حنظلة براً بوالده لقي منه ذلك ، فكيف لو لم يكن به براً ؟!! وبحسب حنظلة أن الله خلد ذكره ، ولا يزال مسكاً يتضوع على مدى الأجيال.
(٣) وكان يسمى : ابن شعوب.
(٤) أخرجه الحاكم .

المجدَّع في الله[١] :

قال سعد بن أبي وقاص ﷺ : أن عبد الله بن جحش قال له يوم أحُد ألا تدعو الله ، فخلوا في ناحية ، فدعا سعد فقال : يا رب ، إذا لقيت العدو ، فلقني رجلاً شديداً بأسه ، شديداً حرده ، أقاتله ويقاتلني ، ثم ارزقني الظفر عليه حتى أقتله ، وآخذ سلبه ، فأمَّن عبد الله بن جحش ، ثم قال : اللهم ارزقني رجلاً شديداً حرده ، شديداً بأسه ، أقاتله فيك ويقاتلني ، ثم يأخذني فيجدع أنفي وأذني ، فإذا لقيتك غداً ، قلت : فيم جدع أنفك وأذنك ؟ فأقول : فيك وفي رسولك ، فتقول صدقت.

قال سعد : يا بني ، كانت دعوة عبد الله بن جحش خيراً من دعوتي ، لقد رأيته آخر النهار وإن أنفه وأذنه لمعلقان في خيط[٢].

شهيد لم يُصَلِّ لله ركعة :

كان لأصيرم بني عبد الأشهل[٣] رباً في الجاهلية ، فكره أن يسلم حتى يأخذه فجاء يوم أحُد ، فقال : أين بنو عمي ؟ قالوا : بأحُد ، قال :

---

(١) هو عبد الله بن جحش بن رئاب ، وأمه أميمة عمة رسول الله ﷺ ، أسلم وهاجر الهجرتين إلى الحبشة ، وهو أخو زينب زوج النبي ﷺ ، شهد بدراً ، ومثّل به المشركون في أحُد حتى سمي المجدَّع في الله ، وذكر الزبير بن بكار أن سيفه انكسر يوم أحُد فأعطاه رسول الله ﷺ غصناً فصار في يده سيفاً فقاتل به ، ولم يزل يتناقل بين ولده حتى بيع من بغا التركي بمائتي دينار.

(٢) أخرجه البيهقي وأبو نعيم والحاكم.

(٣) هو عمرو بن ثابت بن وقش بن زغبة الأوسي الأشهلي الأنصاري ، وهو أخو سلمة بن ثابت ، وابن عم عباد بن بشر ، وابن أخت حذيفة بن اليمان ، ويُعرف عمرو بـ (أصيرم بني عبد الأشهل) قتل يوم أحُد ، فذكروه لرسول الله ﷺ فقال : { هو من أهل الجنة } وأخرج البخاري ومسلم أن رسول الله ﷺ قال : { عَمِلَ قليلاً ، وأُجِرَ كثيراً }.

أين فلان ، قالوا : بأحُد ، قال : أين فلان ، قالوا بأحُد ، فلبس لأمته وركب فرسه ، ثم توجه قبلهم ، فلما رآه المسلمون قالوا : إليك عنا يا عمرو ، قال إني قد آمنت بالله ، فقاتل حتى جرح ، فحُمل إلى أهله جريحاً.

فجاء سعد بن معاذ فقال لأخته : سليه حمية لقومك ، أو غضباً لهم ، أم غضباً لله عز وجل ؟ قال : بل غضباً لله عز وجل ورسوله ﷺ ، فمات فدخل الجنة وما صلى لله صلاة(١).

بطل إلى النار :

وكان من بين الجرحى رجل يقال له قـُزْمان ، وهو رجل غريب لا يدرون ممن هو ، وكان رسول الله ﷺ إذا ذكر له يقول : { إنه لمن أهل النار } وقد قاتل قتال الأبطال ، حتى قتل وحده ثمانية أو سبعة من المشركين ، وكان ذا بأس شديد ، فأثبتته الجراح ، فاحتمل إلى دار بني ظفر ، فجعل رجالاً من المسلمين يقولون له : والله لقد أبليت اليوم يا قـُزْمانُ فأبشر ، قال : بماذا أبشَّر ؟ فوالله إن قاتلت إلا عن أحساب قومي ، ولولا ذلك ما قاتلت ، فلما اشتدت عليه جراحاته أخذ سهماً من كنانته فقتل به نفسه(٢).

(١) أخرجه أبو داود عن أبي هريرة.
(٢) سيرة ابن هشام.

رجل أظلته الملائكة وكلّمه الله كفاحاً[١] :

قال عبد الله بن عمرو بن حرام : رأيتُ في المنام قبل أحُد مبشر بن عبد المنذر[٢] يقول لي : أنت قادمٌ علينا في أيام ، فقلتُ : وأين أنت ؟ فقال : في الجنة نسرحُ فيها كيف نشاء ، قلتُ له : ألم تُقتل يوم بدر ؟ قال : بلى ، ثم أُحْيِيْتُ ، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال : { هذه الشهادةُ يا أبا جابر }[٣].

وقال جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام[٤] : لما قتل أبي يوم أحُد ، جعلت أكشف عن وجهه وأبكي ، وجعل أصحاب رسول الله ﷺ ينهوني وهو لا ينهاني ، وجعلت عمتي ـ فاطمة بنت عمرو ـ تبكيه ، فقال النبي ﷺ : { تبكيه أو لا تبكيه ، ما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفعتموه }[٥].

(١) أي مواجهة بدون حجاب.
(٢) وكان قد استشهد في بدر.
(٣) زاد المعاد.
(٤) هو جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الخزرجي الأنصاري ، له ولأبيه صحبة ، شهد ليلة العقبة مع والده ، وكان من المكثرين في الرواية عن النبي ﷺ ، روى له البخاري ومسلم وغيرهما ١٥٤ حديثاً ، غزا تسع عشرة غزوة ، ولد سنة ١٦ قبل الهجرة ، ومات سنة ٧٨هـ.
(٥) أخرجه البخاري ومسلم . وقد قال عبد الله بن عمرو بن حرام لولده جابر قبل المعركة : ما أراني إلا مقتولاً في أول من يقتل من أصحاب النبي ﷺ ، وإني لا أترك بعدي أعز عليَّ منك غير نفس رسول الله ﷺ ، وإن عليَّ ديناً فاقض واستوص بأخواتك خيراً . فأصبحنا وكان أول قتيل ، فدفنته مع آخر في قبره ، ثم لم تطب نفسي أن أتركه مع آخر ، فاستخرجته بعد ستة أشهر فإذا هو كيوم وضعته هينة غير أذنه ، يعني أن الأرض لم تأكل منه شيئاً إلا بعض شحمة أذنه . أخرجه البخاري.

وقال رسول الله ﷺ لجابر : { ألا أبشرك يا جابر؟ } قلت بلى ، قال : { إن أباك حيث أصيب بأحُد أحياه الله ثم قال لـه : ما تحب يا عبد الله ، ما تحب أن أفعل بك ؟ قال : أي ربي أحب أن تردني إلى الدنيا فأقاتل فيك فأقتل مرة أخرى }[(١)].

أعرج يطأ الجنة برجله صحيحة :

كان عمرو بن الجموح[(٢)] رجلاً أعرج شديد العرج ، وكان لـه بنون أربعة مثل الأسد يشهدون مع رسول الله ﷺ المشاهد ، فلما كان يوم أحُد أرادوا حبسه ، وقالوا لـه : إن الله عز وجل قد عذرك ، فأتى رسول الله ﷺ فقال : إن بني يريدون أن يحبسوني عن هذا الوجه والخروج معك فيه ، فوالله إني لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه في الجنة ، فقال رسول الله ﷺ : { أما أنت فقد عذرك الله ؛ فلا جهاد عليك } وقال لبنيه : { ما عليكم أن لا تمنعوه لعل الله أن يرزقه الشهادة } فخرج ابن الجموح مع رسول الله ﷺ فقتل شهيداً[(٣)].

وقال عمرو بن الجموح لرسول الله ﷺ : يا رسول الله ، أرأيت إن قاتلت في سبيل الله حتى أقتل ، أمشي برجلي هذه صحيحة في الجنة ؟ فقال رسول الله ﷺ : { نعم } فقتل يوم أحُد هو وابن أخيه ومولى لهم ،

---

(١) أخرجه أحمد.
(٢) هو عمرو بن الجموح بن زيد بن حرام السلمي الخزرجي الأنصاري ، من سادات بني سلمة وأشرافهم ، كان له في داره صنم من خشب يعظمه يقال له (مناة) وهو آخر الأنصار إسلاماً.
(٣) سيرة ابن هشام.

فمر رسول الله ﷺ فقال : { كأني أنظر إليك تمشي برجلك هذه صحيحة في الجنة }(١).

مصعب بن عمير ليس له كفن :

مر رسول الله ﷺ في طريقه على مصعب بن عمير وهو مقتول ، فوقف عنده ، ودعا له ، ثم قرأ من قوله سبحانه وتعالى هذه الآية :

﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾(٢).

ثم قال رسول الله ﷺ : { أشهد أن هؤلاء شهداء عند الله يوم القيامة ، فأتوهم وزوروهم ، والذي نفسي بيده لا يسلّم عليهم أحَد إلى يوم القيامة إلا ردّوا عليه }(٣).

وقال خباب بن الأرت : قتل مصعب بن عمير يوم أحُد ، ولم يترك إلا نمِرة ، كنا إذا غطينا بها رأسه خرجت رجلاه ، وإذا غطي بها رجلاه خرج رأسه ، فقال لنا النبي ﷺ : { غطوا بها رأسه ، واجعلوا على رجله الإذخر }(٤).

---

(١) أخرجه أحمد.
(٢) سورة الأحزاب ، الآية ٢٣.
(٣) أخرجه الحاكم.
(٤) أخرجه البخاري.

استشهاد خيثمة بن الحارث[١] :

قال خيثمة : يا رسول الله ، لقد أخطأتني وقعة بدر ، وكنت والله حريصاً عليها ، وقد رأيت البارحة ابني في المنام في أحسن صورة يسرح في ثمار الجنة وأنهارها ، ويقول : الحَقْ بنا ترافقنا في الجنة ، فقد وجدت ما وعدني ربي حقاً ، وقد والله يا رسول الله أصبحت مشتاقاً إلى مرافقته في الجنة ، وقد كبرت سني ، ورق عظمي ، وأحببت لقاء ربي ، فادعُ لي يا رسول الله أن يرزقني الشهادة ، ومرافقة سعد في الجنة ، فدعا له رسول الله ﷺ بذلك ، فقتل بأحُد شهيداً ، رضي الله عنه[٢].

دور النساء في أُحُد :

كان رسول الله ﷺ يغزو بأم سُليم ونسوة من الأنصار معه إذا غزا ، فيسقين الماء ، ويداوين الجرحى . قالت أم عطية الأنصارية : غزوت مع رسول الله ﷺ سبع غزوات أخلفهم في رحالهم ، فأصنع لهم الطعام ، وأداوي الجرحى ، وأقوم على المرضى[٣].

---

(١) هو خيثمة بن الحارث الأوسي الأنصاري ، كان هو وابنه سعد قد أرادا الخروج مع رسول الله ﷺ يوم بدر فقال خيثمة لسعد : لا بد لأحدنا أن يقيم مع النساء فآثرني بالخروج وأقم أنت معهن ، فأبى سعد وقال : لو كان غير الجنة لآثرتك به ، إني أرجو الشهادة في وجهي هذا ؛ فاستهما فخرج سهم سعد ، فخرج مع رسول الله ﷺ فقتل في بدر.

(٢) زاد المعاد.

(٣) أخرجه مسلم.

قال أنس: لقد رأيت عائشة بنت أبي بكر وأم سُليم ، وإنهما لمشمرتان أرى خدم[١] سوقهما تنقزان[٢] القرب على متونهما ، تفرغان في أفواه القوم ، ثم ترجعان فتملآنها ، ثم تجيئان فتفرغانه في أفواه القوم[٣].

دفن الشهداء :

أمر رسول الله ﷺ أن يدفن شهداء أحُد حيث ماتوا ، وقد كان بعض أهالي الشهداء نقلوا قتلاهم إلى المدينة ، فنادى منادي رسول الله ﷺ أن ردوا القتلى إلى مضاجعهم .

قال ابن عباس : أمر رسول الله ﷺ يوم أحُد بالشهداء أن ينزع عنهم الحديد والجلود ، وقال : { ادفنوهم بدمائهم وثيابهم }[٤].

وكان رسول الله ﷺ يجمع بين الرجلين والثلاثة في القبر الواحد ، فقد جاءت الأنصار إلى رسول الله ﷺ فقالوا أصابنا قرح وجهد ، فقال لهم : { احفروا وأوسعوا ، واجعلوا الرجلين والثلاثة في القبر }[٥].

وكان رسول الله ﷺ يجمع بين الرجلين من القتلى في ثوب واحد ، ثم يقول : { أيهم أكثر أخذاً للقرآن ؟ } فإذا أشير لأحد قدَّمه في اللحد ،

---

(١) خدم : خلاخيل.
(٢) السوق : جمع ساق . تنقزان : تسرعان المشي أو تهرولان.
(٣) أخرجه البخاري ومسلم . وقال ابن حجر في الفتح أن هذا كان قبل الحجاب ، ويحتمل أن تكون النظرة عن غير قصد . وأم سُليم هي والدة أنس ، وزوجها هو أبو طلحة زيد بن سهل الأنصاري ، وحمل أنس هذا الحديث عن أبي طلحة.
(٤) أخرجه أحمد.
(٥) أخرجه الترمذي.

وقال : { أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة } وأمر بدفنهم بدمائهم ولم يصل عليهم ، ولم يغسلوا[١].

وجمع بين حمزة وابن أخته عبد الله بن جحش ، وجمع بين عبد الله بن عمرو وصهره عمرو بن الجموح [٢] ، وجمع بين مصعب بن عمير وسعد بن الربيع ، وجمع بين النعمان بن مالك وعبدة بن الحسحاس[٣].

صلاة النبي ﷺ بأصحابه جالساً :

وصلى رسول الله ﷺ بأصحابه الظهر جالساً لكثرة ما به من جراح ، ولكثرة ما نزف من دمه ، وصلى المسلمون وراءه جلوساً.

---

(١) أخرجه البخاري . وجاء في فتح الباري : أن الذي ذكر من أن شهداء أحُد دفنوا بثيابهم ودمائهم ولم يغسلوا ولم يصل عليهم ، هو الذي ثبتت به الروايات الصحيحة في الصحيحين وغيرهما ، وذلك لتكون دماؤهم وجراحاتهم شاهدة لهم يوم القيامة بفضلهم ومنزلتهم. وفي الصحيحين أن النبي ﷺ قال : { والذي نفسي بيده ، لا يُكلم أحَد في سبيل الله ـ والله أعلم بمن يكلم في سبيله ـ إلا جاء يوم القيامة كهيئته يوم كُلِم ، اللون لون الدم ، والريح ريح المسك } . ولذلك ذهب الجمهور من الفقهاء إلى عدم الصلاة على الشهداء الذين قتلوا في جهاد الكفار ، وعدم تغسيلهم . وأما ما رواه ابن إسحاق وغيره من أن النبي ﷺ صلى عليهم ، وأنه صلى على حمزة سبعين صلاة بتعدادهم ، فقد قال الحافظ ابن كثير : إنه ضعيف . وقد ثبت في صحيح البخاري ، أن عقبة بن عامر قال : صلى رسول الله ﷺ على قتلى أحُد بعد ثماني سنين كالمودع للأحياء والأموات ، ثم طلع المنبر ، فقال : { إني بين أيديكم فرط ، وأنا عليكم شهيد ، وإن موعدكم الحوض ، وإني لأنظر إليه من مقامي هذا ، وإني لست أخشى عليكم أن تشركوا ، ولكني أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوها } قال عقبة : فكانت آخر نظرة نظرتها إلى رسول الله ﷺ ، ومن هنا ذهب بعض الفقهاء إلى مشروعية الصلاة على الشهيد : شهيد المعركة . وأما الجمهور فحملوا هذا على الدعاء أو أن ذلك خصوصية للنبي ﷺ.

(٢) كان عمرو بن الجموح متزوجاً من هند بنت عمرو أخت عبد الله بن عمرو . وذكر الواقدي : أن معاوية بن أبي سفيان ﷺ لما أراد أن يجري العين ، نادى مناديه : من كان له قتيل بأحُد فليشهد ، قال جابر : فحفرنا عنهم فوجدت أبي في قبره كأنما هو نائم على هيئته ، ووجدنا عمرو بن الجموح ويده على جرحه ، فأزيلت عنه فانبعث جرحه دماً ، ويقال أنه فاح من قبورهم مثل ريح المسك ، رضي الله عنهم أجمعين . وكان ذلك بعد ست وأربعين سنة من يوم دفنوا. وذكر ابن إسحاق في المغازي نحواً من ذلك.

(٣) الطبقات الكبرى . وذكر ابن إسحاق أن سعد بن الربيع وخارجة بن زيد دفنا في قبر واحد.

ثناء النبي ﷺ على ربه ودعاؤه :

ولمَّا فرغ النبي ﷺ من دفن الشهداء ، قال لأصحابه : { استووا حتى أثني على ربي عز وجل } فصاروا خلفه صفوفاً ، فقال : { اللهم لك الحمد كله ، اللهم لا قابض لما بسطت ولا باسط لما قبضت ، ولا هادي لمن أضللت ولا مضل لمن هديت ، ولا معطي لما منعت ولا مانع لما أعطيت ، ولا مقرب لما باعدت ولا مبعد لما قربت ، اللهم ابسط علينا من بركاتك ورحمتك وفضلك ورزقك ، اللهم إني أسألك النعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول ، اللهم إني أسألك النعيم يوم الغلبة والأمن يوم الخوف ، اللهم إني عائذ بك من شر ما أعطيتنا وشر ما منعت منا ، اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا ، وكرِّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان واجعلنا من الراشدين ، اللهم توفنا مسلمين وأحينا مسلمين وألحقنا بالصالحين غير خزايا ولا مفتونين ، اللهم قاتل الكفرة الذين يكذبون رسلك ويصدون عن سبيلك واجعل عليهم رجزك وعذابك ، اللهم قاتل الكفرة الذين أوتوا الكتاب إله الحق }[١].

* * * * *

(١) أخرجه أحمد.

العودة إلى المدينة

نوادر الحب والتفاني :

ولمَّا فرغ رسول الله ﷺ من دفن الشهداء قفل راجعاً إلى المدينة ، فلقيته حمنة بنت جحش ، فنعى لها الناس أخاها عبد الله بن جحش فاسترجعت واستغفرت له ، ثم نُعي لها خالها حمزة بن عبد الطلب فاسترجعت واستغفرت له ، ثم نُعي لها زوجها مصعب بن عُمير فصاحت وَوَلْوَلَت ، فقال رسول الله ﷺ : { إن زوج المرأة منها لبمكان }(١).

ومر في طريقه على امرأة من بني دينار ، وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله ﷺ بأحُد ، فلما نعوا لها ، قالت : فما فعل رسول الله ﷺ ؟ قالوا : خيراً يا أم فلان هو بحمد الله كما تحبين ، قالت : أرونيه حتى أنظر إليه ، فأشير لها إليه ، حتى إذا رأته قالت : كل مصيبة بعدك جلل !! تريد صغيرة(٢).

وجاءت إليه أم سعد بن معاذ تعدو ، وسعد آخذ بلجام فرسه ، فقال : يارسول الله أمي ، فقال : { مرحباً بها } ووقف لها . فلما دنت عزاها

(١) أخرجه ابن إسحاق.
(٢) سيرة ابن هشام . وكلمة جلل من الأضداد ، تعني الأمر العظيم كما تعني الأمر الصغير الذي لا يؤبه له.

بابنها عمر بن معاذ ، فقالت : أما إذا رأيتك سالماً ، فقد اشتويت المصيبة[١].

ثم دعا رسول الله ﷺ لأهل من قتل بأحُد وقال : { يا أم سعد أبشري وبشري أهلهم أن قتلاهم ترافقوا في الجنة جميعاً ، وقد شفعوا في أهلهم جميعاً } فقالت : رضينا يا رسول الله ، ومن يبكي عليهم بعد هذا ؟ ثم قالت : يا رسول الله ، ادع لمن خلفوا منهم ، فقال : { اللهم أذهب حزن قلوبهم ، واجبر مصيبتهم ، وأحسن الخلف على من خلفوا }[٢].

النبي ﷺ في المدينة :

ومر رسول الله ﷺ بنساء بني عبد الأشهل وهن يبكين هلكاهن يوم أحُد ، فقال : { لكن حمزة لا بواكي لـه } فجاء نساء الأنصار يبكين حمزة ، فاستيقظ رسول الله ﷺ فقال : { ويحهن ، ما انقلبن بعد ؟ مروهن فلينقلبن ، ولا يبكين على هالك بعد اليوم }[٣].

ولما انتهى رسول الله ﷺ إلى أهله ، ناول سيفه ابنته فاطمة وقال : { اغسلي عن هذا دمه يا بُنيَّة ، فوالله لقد صدقني في هذا اليوم }[٤]

---

(١) بمعنى استقللتها.
(٢) السيرة الحلبية.
(٣) فتح الباري . وفي مسند أحمد : سمع رسول الله ﷺ لأهل المدينة نحيباً وبكاء على قتلاهم فقال : (لكن حمزة لا بواكي لـه) فبكته نسوة الأنصار ، فقال لهن رسول الله ﷺ خيراً ونهاهن عن النياحة أشد ما يكون النهي . وبذلك حرمت النياحة على الميت إلى الأبد ، ولم يؤذن إلا بدمع العين.
(٤) أخرجه ابن إسحاق.

وناولها علي بن أبي طالب سيفه وكان قد انحنى من القتال ، وقال : هاكِ السيف حميداً فإنها قد شفعتني ، فقال رسول الله ﷺ : { لئن كنتَ أجدتَ الضرب بسيفك ، لقد أجاده سهل بن حنيف ، وأبو دجانة ، وعاصم بن ثابت بن الأقلح ، والحارث بن الصمة }[١].

منزلة الشهداء :

قال مسروق : سألنا عبد الله بن مسعود عن هذه الآية : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾[٢] ، فقال : أما إنا قد سألنا عن ذلك رسول الله ﷺ فقال : { أرواحهم في جوف طير خضر تسرح في أيها شاءت ، ثم تأوي إلى قناديل معلقة بالعرش ، قال : فبينما هم كذلك إذ اطلع عليهم ربك اطلاعة ، فقال : اسألوني ما شئتم ، فقالوا : يا ربنا ! وما نسألك ونحن نسرح في الجنة في أيها شئنا ، ففعل ذلك بهم ثلاث مرات ، فلما رأوا أن لن يتركوا من أن يسألوا قالوا : نسألك أن ترُدَّ أرواحنا إلى أجسادنا في الدنيا نُقتل في سبيلك مرة أخرى ، قال : فلما رأى أنهم لا يسألون إلا هذا تُركوا }[٣].

---

(١) أخرجه الحاكم.
(٢) سورة آل عمران ، الآية ١٦٩.
(٣) أخرجه مسلم من حديث ابن مسعود.

غزوة

حمراء الأسد

غزوة حمراء الأسد[١]

كان يوم أحُد يوم السبت الخامس عشر من شهر شوال ، لقد كان يوم بلاء وتمحيص ، اختبر الله به المؤمنين ومحن به المنافقين ، وأكرم فيه من أراد كرامته بالشهادة من أهل ولايته.

تآمر المشركين وعزمهم العود :

لمَّا انصرف أبو سفيان والمشركون عن أحُد وبلغوا الروحاء تلاوموا فيما بينهم ، فقالوا : لا محمداً قتلتم ، ولا الكواعب أردفتم ، بئسما صنعتم.

النبي ﷺ ينادي بالخروج :

وفي يوم الأحَد السادس عشر من شهر شوال ، قدم رجل من أهل مكة على رسول الله ﷺ ، فسأله عن أبي سفيان وأصحابه فقال : نازلتهم فسمعتهم يتلاومون ويقول بعضهم لبعض : لم تصنعوا شيئاً ، أصبتم شوكة القوم وحدهم ، ثم تركتموهم ولم تبتروهم ، فقد بقي منهم رؤوس يجمعون لكم[٢].

---

(١) تقع على بعد ثمانية أميال من المدينة باتجاه مكة ، وتعرف حمراء الأسد الآن بحمراء نملى جنوب غرب ذو الحليفة.

(٢) البداية والنهاية.

فشعر النبي ﷺ باحتمالية رجوع المشركين لمهاجمة المدينة ، فأمر بالخروج في أثرهم ، فاستجاب لـه المسلمون على ما بهم من الجراح والخوف والقرح الشديد ، فقال عليه الصلاة والسلام : { من يذهب في إثرهم ؟ }(١) فانتدب منهم سبعون رجلاً(٢) ، وأخذ بقية الجيش في التجمع ، فقال رسول الله ﷺ : { لا يخرج معنا إلا من شهد القتال } فاستأذنه عبد الله بن أُبي بن سلول رأس المنافقين في الخروج معه ، فأبى عليه ، واستأذنه جابر بن عبد الله بن حرام في الخروج ، وقال : يا رسول الله ، إني أحب أن لا تشهد مشهداً إلا كنت معك ، وإنما خلفني أبي على بناته ، فأذن لي أن أسير معك ، فأذن له.

واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم ، وأعطى اللواء علي بن أبي طالب ، وسار الجيش الإسلامي حتى وصل حمراء الأسد ، وصار عددهم ستمائة وثلاثين.

فأثنى الله عز وجل في كتابه العزيز على مبادرتهم بالخروج فقال :

﴿ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ مِنۡهُمۡ وَٱتَّقَوۡاْ أَجۡرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ﴾(٣).

---

(١) أخرجه البخاري.

(٢) سُمِّي منهم : أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمار وطلحة وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة وحذيفة وابن مسعود . أخرجه الطبري من حديث ابن عباس.

(٣) سورة آل عمران ، الآية ١٧٢ . وأخرج البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت لعروة بن الزبير في هذه الآية : يا ابن أختي كان أبواك منهم : الزبير وأبو بكر.

قال ابن إسحاق : وإنما خرج رسول الله ﷺ مرهباً للعدو ، ليبلغهم أنه خرج في طلبهم ليظنوا به قوة ، وأن الذي أصابهم لم يوهنهم عن عدوهم.

صورة من الفداء والطاعة :

شهد رجل من أصحاب رسول الله ﷺ من بني عبد الأشهل أحُداً هو وأخٌ له ، فرجعا إلى المدينة جريحين ، فلمّا أذن مؤذن رسول الله ﷺ بالخروج في طلب العدو ، قال أحدهم للآخر : أتَفُوتُنا غزوة مع رسول الله ﷺ ؟ وما كان لهما من دابة يركبانها ، وكلاهما جريح ثقيل ، فخرجا مع رسول الله ﷺ ، وكان الأيسر منهما جرحاً يحمل أخاه إذا غلبه الألم والتعب تارة ، ويتركه يمشي تارة أخرى ، حتى انتهيا إلى ما انتهى إليه المسلمون(١).

خبر معبد الخزاعي :

مر معبد بن أبي معبد الخزاعي(٢) برسول الله ﷺ في حمراء الأسد ، فقال : يا محمد ، أما والله لقد عزّ علينا ما أصابك في أصحابك ، ولودِدنا أن الله عافاك فيهم.

---

(١) سيرة ابن هشام.

(٢) هو معبد بن حبيش بن خالد الخزاعي الكعبي ، وكان يومئذ مشركاً ، وكانت خزاعة هواها مع رسول الله ﷺ مسلمهم وكافرهم ، وكانوا موضع سره وأهل مودته ونصحه ، وأمه هي أم معبد عاتكة بنت خالد صاحبة الخيمة المعروفة في قصة الهجرة.

ثم خرج من عند رسول الله ﷺ وهو بحمراء الأسد حتى لقي أبا سفيان ابن حرب ومن معه بالروحاء[١] ، وكانوا قد أجمعوا العودة إلى المدينة.

فقال أبو سفيان لمعبد الخزاعي : ما وراءك يا معبد ؟

قال معبد : محمد!! قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمع لم أر مثله قط يتحرقون عليكم تحرقاً ، قد اجتمع معه من كان تخلف عنه في يومكم وندموا على ما ضيعوا ، فيهم من الحنق عليكم شيء لم أر مثله قط.

قال : ويلك ! ما تقول ؟

قال : والله ما أرى أن ترتحل حتى ترى نواصي الخيل.

قال : فوالله لقد أجمعنا الكرة عليهم لنستأصل بقيتهم.

قال : فإني أنهاك عن ذلك ، فوالله لقد حملني ما رأيت على أن قلت فيه أبياتاً من شعر.

قال : وما قلت ؟

قال : قلت :

كادَتْ تُهَدُّ مِنَ الأصْوَاتِ رَاحِلتِي إذْ سَالَتِ الأرْضُ بالجُرْدِ الأبابيل[٢]
تَرْدِي بأُسْدٍ كِرَامٍ لا تَنَابِلَةٍ عِنْدَ اللقَاءِ ولا ميلٍ مَعَازِيلِ[٣]

---

(١) منطقة تبعد عن المدينة ٧٥ كيلو متراً غرباً.
(٢) كادت تهد : كادت تسقط لهول ما رأت من أصوات الجيش وكثرته . الجرد : الخيل العتاق . الأبابيل : الجماعات.
(٣) تردي : تسرع . التنابلة : القصار . الميل : جمع أميل وهو الذي لا رمح أو لا ترس معه ، وقيل هو الذي لا يثبت على السرج . المعازيل : الذين لا سلاح معهم.

فظلْتُ عَدْواً أظُنُّ الأرْضَ مَائِلَةً ... لمَّا سَمَوْا بِرَئِيسٍ غَيْرِ مَخْذولِ[١]

فقلتُ : وَيْلَ ابْنَ حَرْبٍ مِنْ لِقائِكُمُ ... إذا تغَطْمَطَتِ البَطحَاءُ بالجيلِ[٢]

إنِّي نَذِيرٌ لأهْلِ البَسْلِ ضَاحِيَةً ... لِكُلِّ ذِي إرْبَةٍ مِنْهُمْ وَمَعْقُولِ[٣]

مِنْ جَيْشِ أحْمَدَ لا وَخْشٍ قنابلُهُ ... وَلَيْسَ يُوصَفُ مَا أنْذَرْتُ بالقِيلِ[٤]

وقال ابن هشام : إن أبا سفيان بن حرب لما انصرف يوم أُحُد أراد الرجوع إلى المدينة ، فقال لهم صفوان بن أمية : لا تفعلوا ، فإن القوم قد حربوا وقد خشينا أن يكون لهم قتال غير الذي كان فارجعوا ، فرجعوا ، فقال رسول الله ﷺ وهو بحمراء الأسد حين بلغه أنهم قد هموا بالرجعة : { والذي نفسي بيده لقد سُوِّمَتْ لهم حجارة لو صُبِّحوا بها لكانوا كأمس الذاهب }[٥].

انسحاب المشركين ومحاولة التثبيط :

فثنى ذلك أبا سفيان ومن معه عن العودة إلى المسلمين ، وخافوا إذا ما عادوا أن تكون الكرة عليهم وأن يسبلوا مسمى النصر ، وخافوا أن يقذفوا بأنفسهم في حرب لا يأمنون مغبتها ، وأن يفقدوا ثمار النصر الذي رأوا أنهم قد أحرزوه ، فأدخل الله تعالى بذلك رعباً عظيماً في

---

(١) مخذول : مهزوم.
(٢) تغطمطت : اهتزت وارتجت.
(٣) أهل البسل : قريش ، لأنهم أهل مكة . الضاحية : البارزة للشمس . الإربة : البغية أو الهدف.
(٤) الوخش : الدنيء من الرجال.
(٥) أخرجه البخاري ومسلم.

قلوبهم ، فرأوا أن يغنموا الأوبة الرابحة ؛ ولكن أبا سفيان لجأ إلى حيلة ؛ فقد مرَّ به ركب من عبد القيس ، فقال لهم : أين تريدون ؟

قالوا : المدينة.

قال : ولِمَ ؟

قالوا : نريد الميرة.

قال : فهل أنتم مبلغون عني محمداً رسالة أرسلكم بها إليه ، وأحمل لكم إبلكم هذه غداً زبيباً بعكاظ إذا وافيتموها ؟

قالوا : نعم.

قال : فإذا وافيتموه فأخبروه أنا قد أجمعنا السير إليه وإلى أصحابه لنستأصل بقيتهم.

فمرَّ الركب برسول الله ﷺ وهو بحمراء الأسد ، فأخبروه بقول أبي سفيان ، فقال : { حسبنا الله ونعم الوكيل }[1] فأنزل الله تعالى قوله : ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾[2].

---

(١) وقد روى البخاري رحمه الله عن ابن عباس : حسبنا الله ونعم الوكيل ، قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار ، وقالها محمد ﷺ حين قالوا : إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا : حسبنا الله ونعم الوكيل.

(٢) سورة آل عمران ، الآية ١٧٣ ، ١٧٤.

وأقام رسول الله ﷺ بحمراء الأسد الأثنين والثلاثاء والأربعاء ، ثم رجع إلى المدينة ، وقد استرد الكثير من هيبة المسلمين بعد أن كادت تتزعزع بسبب أحُد.

أسرى أُحُد :

لم يؤسر من المسلمين أحَد ، وأسر من المشركين رجل واحد فقط هو أبو عزة الجمحي ، وكان قد أُسر يوم بدر ، ومنَّ عليه رسول الله ﷺ شريطة أن لا يقاتله أو يعين على قتاله ، ولكنه نقض ما كان عاهد رسول الله ﷺ عليه ، فلما أُسر يوم أحُد أيضاً قال : يا محمد امنن عليَّ لبناتي ، وأعاهدك أن لا أقاتلك مرة أخرى ، فقال له رسول ﷺ : { لا أدعُك تمسح عارضيك ، وتقول خدعت محمداً مرتين } ثم أمر به فضربت عنقه . وذكر بعضهم أن رسول الله ﷺ قال : { لا يُلدغ المؤمن من جحر مرتين }(١) والذي قتله الزبير أو عاصم بن ثابت.

قتل جاسوس من جواسيس مكة :

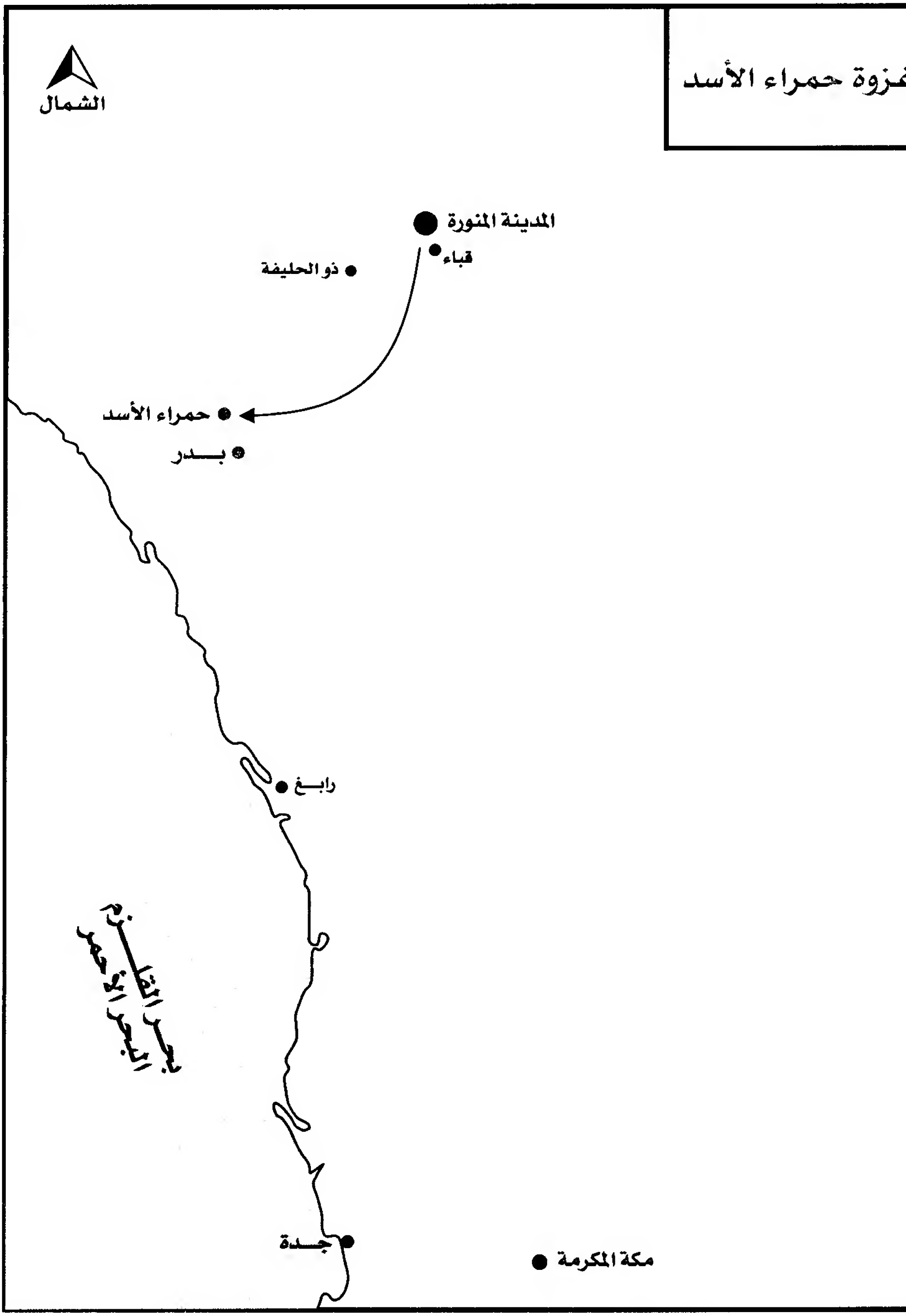
لمَّا رجع المشركون يوم أحُد جاء معاوية بن المغيرة بن أبي العاص ـ جد عبد الملك بن مروان لأمه ـ إلى ابن عمه عثمان بن عفان ﷺ ، فاستأمن له عثمان رسول الله ﷺ ، فأمنه على أنه إن وجد بعد ثلاث

(١) أخرجه البخاري وابو داود وأحمد.

قتله ، فلما ذهب رسول الله ﷺ وأصحابه إلى حمراء الأسد ، أقام في المدينة أكثر من ثلاث يتجسس لحساب المشركين ، ولمَّا علم بقدوم الجيش الإسلامي خرج هارباً ، فبعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة وعمار بن ياسر ، وقال : { ستجدانه في مكان كذا وكذا } فتعقباه حتى قتلاه[١].

* * * * *

(١) سيرة ابن هشام.



خـــــريطة رقـــــم ٣

قتلى الفريقين

شهداء أُحُد :

ثبت في صحيح البخاري عن البراء أن عدد شهداء أحُد سبعون رجلاً[١] ، ويشهد لذلك قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمَّآ أَصَـٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٌ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَـٰذَا ﴾[٢] بمعنى أنهم قتلوا يوم بدر سبعين وأسروا سبعين.

وهذه أسماء الشهداء مرتبة على حروف المعجم :

١- أبو أيمن مولى عمرو بن الجموح.	٢- أبو حية أخو سعد بن خيثمة[٣].
٣- أبو سفيان بن الحارث بن قيس.	٤- أبو هبيرة بن الحارث بن علقمة.
٥- أنيس بن قتادة من بني عبيد.	٦- أنس بن النضر.
٧- أوس بن الأرقم بن زيد.	٨- أوس بن ثابت بن المنذر[٤].

(١) قال موسى بن عقبة: جميع من استشهد يوم أحُد من المهاجرين والأنصار تسعة وأربعون رجلاً. وقال قتادة عن أنس : قتل من الأنصار يوم أحُد سبعون ، ويوم بئر معونة سبعون ، ويوم اليمامة سبعون . وقال حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس : أنه كان يقول : قارب السبعين يوم أحُد ، ويوم بئر معونة ، ويوم مؤتة ، ويوم اليمامة . وقال مالك عن يحيى بن سعيد الأنصاري عن سعيد بن المسيب : قتل من الأنصار يوم أحُد ويوم اليمامة سبعون ، ويوم جسر أبي عبيد سبعون . وهكذا قال عكرمة وعروة والزهري ومحمد بن إسحاق في قتلى أحُد. وعن ابن إسحاق : جميع من استشهد من المسلمين يوم أحُد : خمسة وستون ، أربعة من المهاجرين : حمزة ومصعب وعبد الله بن جحش وشماس بن عثمان ، والباقون من الأنصار ، وسرد أسماءهم بحسب قبائلهم وقد استدرك عليه ابن هشام زيادة على ذلك خمسة آخرين ، فصاروا سبعين على قول ابن هشام.

(٢) سورة آل عمران . الآية : ١٦٥.

(٣) أخوه لأمه . وقال ابن هشام : أبو حية هو ابن عمرو بن ثابت.

(٤) أخو حسان بن ثابت ، الشاعر.

٩- اياس بن أوس بن عتيك.	١٠- اياس بن عدي النجاري[١].
١١- ثابت بن عمرو بن زيد.	١٢- ثابت بن وقش.
١٣- ثعلبة بن سعد بن مالك.	١٤- الحارث بن أنس بن رافع.
١٥- الحارث بن أوس بن معاذ.	١٦- الحارث بن عدي بن خَرَشَة[٢].
١٧- حباب بن قيظي.	١٨- حبيب بن يزيد بن تيم.
١٩- حُسيل بن جابر[٤].	٢٠- حمزة بن عبد المطلب[٣].
٢١- حنظلة بن أبي عامر.	٢٢- خارجة بن زيد بن أبي زهير.
٢٣- خلاّد بن عمرو بن الجموح.	٢٤- خيثمة أبو سعد بن خيثمة.
٢٥- ذكوان بن عبد قيس.	٢٦- رفاعة بن وقش.
٢٧- رفاعة بن عمرو.	٢٨- سُبيع بن حاطب بن الحارث[٥].
٢٩- سعد بن الربيع بن عمرو.	٣٠- سعيد بن سويد بن قيس.
٣١- سَقْف بن فروة البَدِيّ.	٣٢- سلمة بن ثابت بن وقش.
٣٣- سُليم بن الحارث.	٣٤- سُليم بن عمرو بن حديدة.
٣٥- سهل بن قيس بن أبي كعب.	٣٦- شماس بن عثمان[٦].

(١) استدركه ابن هشام.
(٢) استدركه ابن هشام.
(٣) عمّ رسول الله ﷺ من المهاجرين.
(٤) هو اليمان والد حذيفة.
(٥) قال ابن هشام : ويقال : سُويبق بن الحارث بن حاطب بن هيشة.
(٦) من المهاجرين.

٣٧- صيفي بن قيظي.	٣٨- ضمرة من بني جهينة[١].
٣٩- عامر بن مخلد النجاري.	٤٠- عباد بن سهل.
٤١- عُبادة بن الحَسْحَاس[٢].	٤٢- عباس بن عبادة بن نضلة.
٤٣- عبد الله بن جُبير[٤].	٤٤- عبد الله بن جحش[٣].
٤٥- عبد الله بن سلمة العجلاني.	٤٦- عبد الله بن عمرو بن حرام.
٤٧- عبد الله بن عمرو بن وهب.	٤٨- عُبيد بن التيهان[٥].
٤٩- عُبيد بن المعلى بن لوذان.	٥٠- عتبة بن ربيع بن رافع.
٥١- عمارة بن زياد بن السكن.	٥٢- عمرو بن إياس بن سالم[٦].
٥٣- عمرو بن ثابت بن وقش.	٥٤- عمرو بن الجموح بن زيد.
٥٥- عمرو بن قيس النجاري.	٥٦- عمرو بن مطرّف بن علقمة.
٥٧- عمرو بن معاذ بن النعمان.	٥٨- عنترة مولى سُليم بن عمرو.
٥٩- قيس بن عمرو بن قيس النجاري	٦٠- قيس بن مخلد.
٦١- كيسان ، عبد لبني مازن.	٦٢- مالك بن إياس الخزرجي[٧].

(١) حليف لبني طريف.
(٢) سمّاه بعضهم (عبدة).
(٣) من المهاجرين.
(٤) هو أمير الرماة.
(٥) قال ابن هشام : ويقال عتيك بن التيهان.
(٦) استدركه ابن هشام.
(٧) استدركه ابن هشام.

٦٣- مالك بن سنان[٢].	٦٤- مالك بن نُميلة المازني[١].
٦٥- المجذر بن ذياد البلوي.	٦٦- مصعب بن عمير[٣].
٦٧- نعمان بن عبد عمرو.	٦٨- نعمان بن مالك بن ثعلبة.
٦٩- نوفل بن عبد الله.	٧٠- يزيد بن حاطب بن أمية.

هذه عدة شهداء أحُد رضي الله عنهم وأرضاهم ، وجعل الجنة مثوانا ومثواهم.

قتلى المشركين :

قال ابن إسحاق : فجميع من قتل الله تبارك وتعالى يوم أحُد من المشركين اثنان وعشرون رجلاً.

* * * * *

(١) وقيل : نُميلة ، وقيل : نملة ، وهي أمه ، أما أبوه فاسمه : ثابت ، وقد استدركه ابن هشام.
(٢) هو : أبو أبي سعيد الخدري ، واسم أبو سعيد (سنان) ويقال : سعد.
(٣) من المهاجرين.

دروس من غزوة أُحُد

سبب الهزيمة :

لقد كان النصر حليف المسلمين في بداية الأمر ، إذ أنزل الله نصره على المسلمين وصدقهم وعده ، فحسُّوهم[١] بالسيوف حتى كشفوهم عن المعسكر ، وكانت الهزيمة لا شك فيها ، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ﴾[٢] ولكن تدافعت الدنيا بإغراءاتها مع دقات ساعة الغفلة والانسحاب من الالتزام بأمر النبي ﷺ ، فكانت اللحظات الصعبة ، إذ غادر الرماة أماكنهم على ظن أن المعركة قد انتهت ، فكان خطأ تقدير الموقف قد صنع ثغرة في جسد المعركة ، فضاعت المكاسب التي أحرزتها الشجاعة النادرة والتضحية البالغة ، قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[٣].

---

(١) الحس : القتل.

(٢) و (٣) سورة آل عمران ، الآية ١٥٢.

الحكم والغايات المحمودة في هذه الغزوة :

إن من حكمة الله تعالى وسنته في رسله وأتباعهم ، أنهم ينالون من أعدائهم تارة ، وينال أعدائهم منهم تارة أخرى ، ولكن العاقبة بالنصر لابد أن تكون لهم ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ ﴾[1].

ولو كان النصر حليفهم في كل معركة ، وظهورهم على عدوهم في كل موطن ، لطغت نفوسهم وشمخت وارتفعت ، فلو بُسط لهم النصر والظفر ، لكانوا في الحال التي يكونون فيها لو بسط لهم في الرزق ، فلا يُصلح العباد إلا السراء والضراء ، والشدة والرخاء ، والقبض والبسط ، فهو المدبر لأمر عباده كما يليق بحكمته ، إنه بهم خبير بصير.

ولكن في امتحان الله لهم بالهزيمة ذل وانكسار وخضوع ، فاستوجبوا منه تعالى العز والنصر ، فإن خلعة النصر إنما تكون مع ولاية الذل والانكسار ، فقد قال سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[2] وقال عن يوم حنين : ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا ﴾[3] فهو سبحانه إذا

(١) سورة المجادلة ، الآية ٢١.
(٢) سورة آل عمران ، الآية ١٢٣.
(٣) سورة التوبة ، الآية ٢٥.

أراد أن يُعز عبده وينصره ، كسره أولاً ، ويكون نصره له على مقدار ذله وانكساره.

ولو كانت الهزيمة عليهم دائماً ، لم يحصل المقصود من البعثة والرسالة ، فاقتضت حكمة الله تعالى أن جمع لهم بين الأمرين ، ليميز من يتبعهم ويطيعهم للحق الذي جاءوا به ، ممن تبعهم لظهورهم وغلبتهم ، وقد بين ذلك سبحانه وتعالى في قوله : ﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ ﴾[1].

ولما كتب الله سبحانه وتعالى النصر والظهور والتمكين للمسلمين على أعدائهم في بدر ، دخل معهم في الإسلام ظاهراً من ليس منهم ، ولم يتميز المؤمن الصادق من المنافق الكاذب ، فكان يوم أُحُد يوم تمحيص وبلاء ومحنة ، حتى تميَّز المؤمن من المنافق ، فقد نجم النفاق بعد هذه الغزوة ، وتكلم المنافقون بما كانوا يكتمونه ، وأصبح تلويحهم تصريحاً ، فعرف المؤمنون أن لهم عدواً في صفهم ، فاستعدوا لهم وتحرزوا منهم[2].

---

(١) سورة آل عمران ، الآيتان : ١٤٠ ، ١٤١.
(٢) ذكر ابن القيم رحمه الله في زاد المعاد حكماً وغايات كثيرة حول هذا الموضوع ، فمن أراد الاستزادة فليرجع إليه.

حكم الاستعانة بغير المسلمين :

لم يشأ النبي ﷺ أن يستعين بغير المسلمين في هذه الغزوة على الرغم من قلة المسلمين ، وقال فيما روى ابن سعد في طبقاته : { لا نستنصر بأهل الشرك على أهل الشرك }.

وقد روى مسلم أن النبي ﷺ قال لرجل تبعه في يوم بدر ليقاتل معه : { أتؤمن بالله ؟ } قال : لا ، قال : { فارجع فلن أستعين بمشرك }.

وقد ذهب جمهور كبير من العلماء ـ بناء على هذا ـ إلى أنه لا يجوز الاستعانة بالكفار في القتال ، وفصّل الإمام الشافعي في ذلك ، فقال : إن رأى الإمام أن الكافر حسن الرأي والأمانة في المسلمين وكانت الحاجة داعية إلى الاستعانة به جاز ، وإلا فلا.

ولعل هذا هو المتفق مع القواعد ومجموع الأدلة ، إذ روي أنه عليه الصلاة والسلام قبل معونة صفوان بن أمية يوم حنين ، والمسألة على ذلك داخلة في إطار ما يسمى بالسياسة الشرعية(١).

كان ذلك في الاستعانة بالأشخاص ، وأما الاستعانة ببعض الممتلكات كالسلاح والعدة ، فلا خلاف في جوازه شريطة أن لا يكون فيه خدش لكرامة المسلمين ، وأن لا يتسبب عن ذلك دخول المسلمين تحت سلطان غيرهم ، أو تركهم لبعض واجباتهم وفروضهم الدينية ، وكان صفوان

---

(١) انظر فقه السيرة النبوية ، للدكتور محمد سعيد البوطي.

بن أمية حينما أعار الأسلحة لرسول الله ﷺ في وضع المغلوب الضعيف وكان رسول الله ﷺ في المركز الأقوى[١].

حكم مشاركة النساء في الغزو :

قال النووي في شرحه لصحيح مسلم : قوله : { كان ﷺ يغزو بالنساء فيسقين الماء ويداوين الجرحى } فيه خروج النساء في الغزوة والانتفاع بهن في السقي والمداواة ونحوهما ، وهذه المداواة لمحارمهن وأزواجهن ، وما كان منها لغيرهم لايكون فيه مس بشرة إلا في موضع الحاجة.

فخروج المرأة لمداواة الجرحى وسقي العطاش ثابت في الصحيح ، وأما خروجها للقتال فلم يثبت في السنة المطهرة ، وقد روى البخاري وغيره عن عائشة رضي الله عنها أنها استأذنت رسول الله ﷺ في الجهاد فقال : { جهادكن الحج } فالمقصود الذي استأذنت به عائشة هو المشاركة في القتال لا الحضور للمداواة والخدمة وما أشبه ذلك.

وعلى كل فإن خروج المرأة مع الرجال إلى الجهاد مشروط بأن تكون في حالة تامة من الستر والصيانة وأن يكون خروجها لحاجة حقيقية إلى ذلك ، فأما إذا لم تكن ثم حاجة حقيقية أو كان ذلك يعرضها للوقوع في المحرمات فخروجها محرم لا يجوز إقراره.

---

(١) انظر زاد المعاد ، غزوة حنين.

والأحكام الإسلامية منوطة ببعضها ، فلا ينبغي تخير ما توحي به الأهواء مع الإعراض عما يتعلق به من الأحكام والواجبات الأخرى[١].

فوائد وعبر :

- امتثال رسول الله ﷺ مبدأ الشورى مع أصحابه ، فقد عودهم على التصريح بآرائهم عند مشاورته لهم حتى لو خالف ذلك رأيه ، فهو إنما يشاورهم فيما لا نص فيه ، وذلك تعويداً لهم على التفكير في الأمور العامة ، ولم يحدث أن لام أحَداً لأنه أخطأ في رأيه ، ولا فائدة من المشورة إذا لم تقترن بحرية إبداء الرأي ، وهذا يوضح لنا أن الأخذ بالشورى ملزم للإمام ، فقد طبق ذلك رسول الله ﷺ من خلال التوجيه الرباني له في قوله : ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾[٢] ، فقد كان من أثر ذلك ظهور الوعي السياسي عند الصحابة ﷺ ، مما جعلهم يفتحوا الدنيا ويسودوها.
- لا يجب على المسلمين الخروج إلى عدوهم إذا طرقهم في ديارهم ، بل يجوز لهم أن يبقوا في ديارهم ، ويقاتلوا عدوهم فيها إذا كان ذلك أنصر لهم على عدوهم.

---

(١) انظر فقه السيرة النبوية ، للدكتور محمد سعيد البوطي ، باب غزوة حنين.
(٢) سورة آل عمران ، الآية ١٥٩.

- يجوز للإمام المرور من خلال بعض أملاك رعيته إذا صادف ذلك طريقه ، وإن لم يرض المالك.
- براعة النبي ﷺ العسكرية في الحروب ، فقد سبقه إلى أرض المعركة جيش العدو المليء بالمخططين لفنون القتال وطرائقه ، ومع ذلك اختار أفضل مكان ، ونظم صفوف الجيش ، ورتب أجنحته ، ووضع الحامية اللازمة في المؤخرة ، وأوصى الرماة بوصايا دقيقة كأنه قد استشف بفراسة النبوة ما حدث من المخالفة.
- جواز الغزو بالنساء والاستعانة بهن فيما دون القتال ، مثل : مداواة الجرحى والسقي إذا أمنت فتنتهن مع لزومهن الستر والعفاف ، ولهن أن يدافعن عن أنفسهن بالقتال إذا تعرض لهن الأعداء.
- أنه لا يُأذن لمن لا يطيق القتال من الصبيان غير البالغين.
- بيان أن الخوف والجبن من أبرز سمات المنافقين ، فهم لا يعرضون أنفسهم لمغبات القتال ، وإنما يريدون أن يأخذوا ما في الإسلام من مغانم ، ويبتعدوا عما فيه من مغارم وأتعاب ، وما يبقيهم على الإسلام إلا أحَد أمرين : إما مغانم يتوقعونها ، أو مصائب ومحن يتوخونها.

- بيان أن الرغبة في الدنيا وطلبها بمعصية الله عز وجل ورسوله ﷺ هي سبب كل بلاء ومحنة.
- بيان أهمية النية الصادقة في الجهاد ، فمن قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله ، ومن قاتل لغير ذلك فليس بشهيد.
- بيان أن من قتل نفسه فهو في النار.
- جواز دعاء الرجل وتمنيه أن يقتل في سبيل الله.
- جواز خروج من عذره الله لمرض أو عرج أو شيخوخة إلى الجهاد في سبيل الله.
- على الإمام أن يدفع دية من قتله المسلمون في الجهاد خطأ.
- بيان ثبات النبي ﷺ في مواطن الشدة ، فقد تجلى ذلك في مواقف كثيرة ، مثل : رجوع عبد الله بن أبي بثلث الجيش ، وعندما فر الكثير من أصحابه بعد الانتكاسة ، وانتفاضته لقتل أُبي بن خلف وهو مثقل بالجراح.
- بيان صبر النبي ﷺ وعدم جزعه لما أصابه وأصاب أصحابه ، ومن فوات النصر الذي كاد أن يحصل له في أول الأمر وخسره في آخره.
- تجهيز نفوس الصحابة ﭬ لاستقبال خبر وفاة النبي ﷺ وإن تأخر ذلك ؛ ليثبتوا على العقيدة ويدعون لها ويجهادون في سبيلها في حياته وبعد مماته عليه الصلاة والسلام ، قال سبحانه وتعالى :

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾(١).

- السنة في الشهيد أن لا يغسل ولا يكفن في غير ثيابه ، وأن يدفن حيث قتل.
- السنة في غسل من كان جنباً كما غسلت الملائكة حنظلة.
- جواز دفن الرجلين والثلاثة في قبر واحد.
- بيان مظاهر الكمال المحمدي من شجاعة وصبر وتحمل وحسن سياسة وكمال تدبير في خروجه إلى حمراء الأسد في اليوم التالي.
- بيان طاعة الصحابة للنبي ﷺ في خروجهم معه إلى حمراء الأسد على ما فيهم من جراح.
- أنه سبحانه وتعالى هيأ لعباده المؤمنين منازل في دار كرامته ، لم يكونوا بالغيها إلا بالبلاء والمحنة ، فقيض لهم الأسباب التي توصلهم إليها.
- بيان منزلة الشهداء عند الله ، وأن الشهداء هم خواصه والمقربون من عباده ، فهي من أعلى مراتب أوليائه ، وهو

---

(١) سورة آل عمران ، الآية ١٤٤.

سبحانه يحب أن يتخذ من عباده شهداء تراق دمائهم في سبيل محبته وابتغاء مرضاته ، ولا سبيل لنيل هذه الدرجة إلا بتقدير الأسباب المفضية إليها من تسليط العدو.

ما نزل من القرآن في أحُد :

قال ابن إسحاق : أنزل الله تبارك وتعالى في شأن أحُد ستين آية من آل عمران .

وروى ابن أبي حاتم من طريق المسور بن مخرمة ، قال : قلت لعبد الرحمن بن عوف أخبرني عن قصتكم يوم أحُد ، قال : اقرأ العشرين ومائة من آل عمران تجدها : ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ - إلى قوله - أَمَنَةً نُّعَاسًا ﴾[1].

هل هُزم المسلمون في أحُد ؟ :

إن الناظر في أحداث غزوة أحُد ، يجد أنها تنقسم إلى جولتين ، فقد كانت الجولة الأولى نصر واضح للمسلمين ، فقد قُتل جميع حملة اللواء من بني عبد الدار ، ولم يتجرأ أحَد لحمله بعدهم.

---

(١) سورة آل عمران ، الآيات ١٢١- ١٥٤ . فتح الباري.

أما الجولة الثانية فقد كانت الغلبة فيها للمشركين ، حيث أنهم أطبقوا على المسلمين ، ونالوا منهم ، وفرقوا صفوفهم ، وأثخنوا فيهم القتل ، وسيطروا على أرض المعركة.

فنفهم من خلال الجولة الثانية أن النصر كان حليف المشركين ، ولكن بالرغم من ذلك إلا أننا لا نستطيع أن نقول أن النصر لهم ، وذلك لعدة أمور ، منها :

إن من عادة الحروب إذا هُزم جيش فإن الجيش الآخر يسيطر على معسكره ، ويلحق بفلوله ، ويأسر من جنوده ، ويغنم ما معه ؛ وهذا ما لم يحصل في هذه المعركة ، فإن المشركين سيطروا على ساحة القتال ، ولكنهم لم يسيطروا على معسكر المسلمين ، فقد صمد المسلمون حول رسول الله ﷺ ، وتمركزوا في الشعب ، ولم يطارد الجيش المكي الفارين من المسلمين ، ولم يقع مسلم في أسرهم ، ولم يغنموا شيئاً من المسلمين ، ولم يقيموا ثلاثة أيام في ساحة القتال كما كان دأب الفاتحين ، ولم يغزوا المدينة ، بل سارعوا إلى الانسحاب من ساحة القتال متجهين إلى مكة ، والجيش الإسلامي لم يزل في معسكره ، ولم يفكروا في خوض جولة ثالثة مع المسلمين في معسكرهم ، وكأنهم خافوا إن هم خاضوها أن يفقدوا النصر الذي شعروا أنهم قد أحرزوه ، ويزيد ذلك تأكيداً موقفهم في حمراء الأسد.

إذاً يظهر لنا من خلال هذا المنظور للمعركة ، أن النجاح الذي أحرزه المشركون كان عبارة عن ثغرة وجدوها فألحقوا من خلالها خسائر بالمسلمين ، وفشلوا في إبادتهم والقضاء عليهم ؛ ففي هذه المعركة نال كل فريق نصيباً من النجاح والخسارة ، ثم توقف كل منهما عن القتال دون أن يفر من أرض المعركة ويترك معسكره ليحتله الآخر وهذا يدل على أن المعركة لم تحسم بالنصر للمشركين.

* * * * *

الخاتمة

حفلت غـزوة أحُد بثراء الدروس والعبر والعظات إذ كانت يوم بلاء وتمحيص وانكشـاف لذوات النفاق ، علـى نتن غاياتها ، وحمقها في فقه معادلة الكرامة والنجاة في الدنيا والآخرة معاً.

يوم دامـي بالجراحات وألـم البلاء ، لكنه تـألق بفقه الثبات و كرامة اتخـاذ الشـهداء وتحليقهم فـي سمـاء الخلود وحقيقـة الحيـاة ، وتميزت بـه مـراتب المؤمـنين وقـد حومـت حـول عـرش معـالي الأمـور فـي وحـي إسلامها العظيم.

كـان زخـم أحـداث حفلت بالحـرب النفسية وبث الشائعات والأكاذيب ، لكـنها الـتقت مـع قـلوب ثابـتة بثـبات الشـجرة المترسـخة جذورهـا فـي الأرض.. مفوضة أمرها لربها في الحال والمآل.

كـان دقـات سـاعة دنيـا وغفلة وخطـأ فـادح فـي عـدم الـتزام عسـكرية أوامـر المعـركة ، فكـانت الـثغرة الـتي رسـمت نـتاج المعـركة فـي الـبدء ، وكـانت هنـاك فروسية الذكاء في الاقتناص التي كشفت ظهر المسلمين ، وأحدثـت صـدعاً في جسد المعركة ، فكان زمام الأمور بيد الشرك ، لكنه وافـق ثـبات الـنبي ﷺ وثـبات نفـر مـن المؤمـنين فـي تـرس الصـد والدفاع والاستماتة لأجل رفعة الإسلام وحفظ النبوة في دقات الزمن الواحد.

كان جراحاً مضت في تلك الغزوة إلى قلبها الآمن المطمئن في طيبة الطيبة ، وأعلنت في أمنها قرار النداء للجهاد وترداد صوت العشق لحمراء الأسد في غليان حرقة الدماء على أعداء الله ، فكان القرار ومسير الجراح النازفة إلى ثرى الجهاد في عنفوان قوة جند الإسلام ، وكانت في الأصداء حمية الجاهلية الحمقاء التي أنقذتها من حمقها صيحة رددت في الصدى وهم ما في أنفتها من غرور الحمية ، فكان الهلع والخوف والجبن معاً فهربت من ميدان السجال وعراك السيوف ، وكان في حمراء الأسد ميعاد تضميد الجراح وانتهاء دقات ساعة يوم أُحُد التمحيص والبلاء وإيذاناً بإسفار فجر النصر المؤزر المبين ، بعد جراحات الألم والابتلاءات في ذاكرة أُحُد الزمان والمكان.

اللهم اجعلنا من حزبك المفلحين ، واجعلنا من عبادك المخلصين ، وآمنا يوم الفزع الأكبر يوم الدين ، واحشرنا مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين ، الأحياء منهم والميتين ، برحمتك يا أرحم الراحمين.

وصلى الله وسلم على محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين ،،،

كتب ذلك الفقير إلى عفو ربه
قاسم بن محمد الزهراني
ص . ب ١٤٤٠٢
جـــدة ٢١٤٢٤
المملكة العربية السعودية
qalzahrani@hotmail.com

المصادر الرئيسية

١ـ القرآن الكريم.

٢ـ فتح الباري.

٣ـ صحيح مسلم.

٤ـ زاد المعاد.

٥ـ سيرة ابن هشام.

٦ـ تاريخ الطبري.

٧ـ البداية والنهاية.

٨ـ الطبقات الكبرى لابن سعد.

٩ـ عيون الأثر لابن سيد الناس.

١٠ـ السيرة النبوية من فتح الباري.

١١ـ فقه السيرة النبوية لابن قيم الجوزية.

١٢ـ السيرة النبوية الصحيحة للدكتور أكرم ضياء العمري.

١٣ـ صحيح السيرة النبوية لإبراهيم العلي.

فهرس